

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190468

UNIVERSAL
LIBRARY

خطرات نفس

للدكتور منصور فهمي

جميع الحقوق محفوظة

مطبوعة المعارف ومكتبة ما بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

حبب إليَّ بعض أصدقائي أن أجمع هذه الخطرات كتاباً أنشره . وكنت أمام رغبتهم ، أشعر بشيء من الغبطة كلما تصورت هذه المقالات التي ذهبت أشتاتاً في أنهر الصحف قد انتظمها سفر واحد وأصبحت أدنى إلى الحفظ عند من يرى أنها بالحفظ جديرة .

لكن الغبطة التي كنت أشعر بها لم تكن لتحفز مني عزيمة ماضية لجمع هذه الأقوال ، إذ كنت أحس في طوايا نفسي ما كان يصرفني عن الإهتمام بشأنها . ولعل خير ما أطلع به القراء في هذه المقدمة أن أصدقهم القول في اظهار ما كان يدعو تارة إلى الرغبة في نشر مثل هذا الكتاب وتارة أخرى إلى الرغبة عن ذلك .

كان يدعو إلى نشر هذا الكتاب ان بعض ما فيه من الخطرات يرجع إلى ذكريات تتصل بأيام الصبا ، وإن في جمعه وحفظه ما يضمن لى حفظ صورة لهذه الأيام . ومهما امتد بنا الزمن وانقطع عنا ماضينا فسالف المرء عزيز عليه ، ومهما يكن فى ماضينا من احسان أو إساءة فى رحاب النفس له أهل ، وله فى باحاتها سهل عند ما يطرق أبوابها متنكراً فى زى الذكريات لذة كانت أو مؤلمة . وذلك لأن النفوس كما تستطيب اللذة ، يطيب لها أحياناً طعم الألم .

وقد حسبت فوق ذلك أن لثمرات القلم المتصلة بالعواطف والتأثرات قيمة وخطراً . وذلك لأن هذا الوجود يصل إلى الإنسان عن منفذين : العقل والحساسية . ومن شأن العقل أن يركب ويحلل ويعلل وينتهى من تحليلاته وتعليلاته لرد الأمور إلى ناموس الضرورة . ومن شأن الحساسية أن تهز النفس هزاً وتحرك ساكنها وترد الأمور إلى ناموس الإفعال . وليس من شىء فى الحياة إلا وهو متصل بشأن من شئون العقل أو الانفعال . وان أبعد أغوار النفس مما يطلق عليه اسم الجبلة أو الفطرة ينتهى إلى

شدة الإحساس بما يميل الناس إليه أو يميلون عنه ، أو يدهشون من أمره . ومهما تنوعت العبارات التي تدل على الميل أو النفور أو الاندهاش ، فأخر ما يرسب في قرارة النفس من معاني هذه الألفاظ : اللذة ، والألم ، والإيمان . وفي هذه الخطرات التي أبقياها على حالها منذ كتبتها^(١) يجد القارئ أصداء للذاتي وآلامى وحيرتى التي فيها انفصاح عن التسليم ، وأسلوب من العبادة . فهي في مادتها تتم عن أعماق مشاعرى ، وفي ثوبها تدل على طاقى فى تحويل روحانية العقل مادة ، ومعانيه أصواتاً .



أما ما كان يدفعنى لإيهاها فقد يكون مرجعه إلى الاكتفاء بأنها وصلت إلى الجمهور عن طريق الصحف . وكذلك حسبانى أن بعض الإخوان قد لا يرضيه إلا أن أبرز للناس أثراً يتضمن نتائج التحصيل والتفكير العلمى ، فتتواصل أوشاجه حول رأى

(١) لم أغير شيئاً مما كتبت اللهم إلا اعراب امط أو تصحيح آخر لشدة احتراى للغة العربية ويرجع الفضل فى ذلك لصديق الأستاذ صادق عنبر الذى تفضل وتولى بالنيابة عنى مراجعة المطبعة فى أكثر هذه المقالات فله الشكر الجزيل

ضمير قلق .

اليوم لا علماً أكتب ولا منطقاً . إنما هو حديث فتى مهموم
فى لحظة من تلك اللحظات التى تبعث فيها النفس أعز مكنونها
من الشعر والاحساس . حديث فيه تاريخ حال من أحوال
نفس بشرية يظفر منه القارىء بجزء صغير من أجزاء تلك الحقيقة
الكلية العظمى التى لو استقصيتها لوجدتها مجموعة لتاريخ الكون
فى جزئياته . وأن أكرم قسم فى ذلك التاريخ ما تضمن أحوال
النفوس ومنازعها .

قال الفتى :

انك تحسبنى يا سيدى من أهل السرور وأنصار الصفاء .
يغريك بذلك ثغرى الضحك ، وارتفاع صوتى فى محافل الأنس
والطرب ، والتماس المجون فى كل إشارة وكل عبارة .

على أنك قد نسيت ، أيها العزيز ، تلك الأوقات التى ألبث
فيها ذاهلاً عن الناس وأحاديثهم . فتسدل على وجهى سحابة
من الحزن لا تترك لناظر فيه أن يتبين علامة من علائم النشاط

والأمل . ولا تبقى من إشراقه ونضارة الشباب فيه إلا بسملة خاصة أوهم الناس بها انى معهم فيما يقولون وأفكر فيما يرتأون .
إنه ليخجلنى البقاء يا صديقى فى جمع من الجموع وعلى مسح السواد بينما تكون الناس راغبة فى المسرات واقفة عند أبوابها .
ولقد أعمل جهدى على صد غارات الحزن المتابعة على نفسى كما تتلاحق الأمواج المرهوبة على جرف حطيم . وحينئذ أعمد إلى البعد عن الناس حتى لا يشذ لباسى الأسود من الأسى عن سرايلهم النضرة من السرور .

كنت أو من بطهارة الحياة إيماناً ، وكنت أحسن الظن بالناس أيما احسان ، لأنى لم أخرج إلى ساحة العيش إلا من عهد ، كما علمت ، قريب . وكنت عند عهدي بالشباب تلميذاً مجداً كثيراً ما لا بست الكتب وانقطعت للدرس وقليلًا ما لا بست الناس ونظرت فى شؤون الحياة . ولقد جعل القضاء لطافة من الكتاب الخياليين على سلطانا فكنت أصبو صغيراً للصور الجميلة والخلال الكريمة والأشباح الشريفة التى كانت تخرجها أذهانهم قبل أن أتصل بحقائق الحياة المرة المؤلمة .

خرجت من عالم الكتب إلى عالم الناس وكنت أتوهم أن

الناس يلقوننى لأعمل معهم واكتب تحت أعينهم صحيفة من
سفر الحياة الواسع فاملأها برسوم الحق والواجب ، وآثار العمل
والأمل ، وأصور فيها صورة الأب الصالح ، والزوج الوفى ،
والوطنى الصادق ، والانسان العادل فى نفسه وفى الناس . وكنت
أظن أن كلمات الحرية والاخلاص والفضيلة والرحمة والكمال
وأمثالها مما وسعه المعجم تسعها معاملات الناس بعضهم لبعض
على أننى صدمت صدمة بالغة حين رأيت أن الناس يسيرون على
خلاف ما كنت أظن . وان الحياة تكاد تكون جارية لمقادير غير ما
كنت أقدر . وان السجايا التى كنت أظنها من صفات البشر انما
هى لمخلوقات خيالية تبصرنا ولا نبصرها وترانا ولا نراها . هالنى
وأفزعنى أن أرى فى الحياة مسرحاً واسعاً للنفاق والرياء والخداع
والأباطيل وأن هذه الأشباح الشنيعة قد صرعت تلك المخلوقات
الشريفة التى نسميها الفضائل واستبدت وحدها بميدان الحياة
كله . تساءلت أكانت الكتب تخدعنى وتغير صور الأشياء
فتجعل ضعفاء الحقيقة هم الأقوياء وأقوياءها هم الضعفاء ؟
أم هو الوجود لم يبلغ بعد فى تاريخ نشوءه طوراً تنال فيه الفضائل
منازلها من الكرامة والاجلال وتسير فى المعاملات كأنها

الكواكب تجرى فى داراتها على سبل ممهدة فتصبح حينذاك القوة والغلبة ميزة للسجاياء وحدها . ثم تساءلت هل فترة الحياة من شأنها أن يظل فيها أشباح خيالية تتخذ وكرها فى رؤوس البشر وتشبه الأملاك فى نورانية أجسامها وتغرى النفوس بالزعات العالية أم توجد كرام السجاياء حقاً عند أفراد أغنياء بأنفسهم عن الناس معززين منعمين بمداعتها يحسبهم الجهال مهزومين وهم يعيشون كآلهة الأساطير يسخرون من نعيم الناس ولهم من أنفسهم أكبر نعيم . وقلت فى نفسى بعد ذلك كله هل القوى فى الحياة الاجتماعية هو من يخضع لنواميسها من الرياء والظلم فيخضع ويظلم ، أم هو الذى يحتقرها فى قوانينها ليعيش تحت راية مبادئ أخرى تنسجها له تصوراتهِ وخيالاتهِ السامية ؟

ان منشأهمى ياسيدى هو ذلك التنازع القائم بين ما تحن اليه نفسى ونزعاتها وبين المبادئ التى يقوم عليها المحيط الذى يضمنى .

أعيش منفرداً واحداً فى عالم الخيال ، أم أدخل إلى ساحة البشر وأخلع ثوبى الجليل الكريم ؟ !

ماآتمنا

ماآتمنا تذهب برهبة الموت ووقار الأسي فهي ممقوتة عند الله
وهي عار علينا في مظاهرها .

يزعم أهل النظر والعلم ان السرور أدعى إلى صنوف الحركات
وان الحزن أدعى إلى السكينة . وذهب ابن خلدون إلى أن «طبيعة
السرور هي انتشار الروح الحيوانى وتفشييه وطبيعة الحزن انقباضه
وتكاثفه » !

نعم . صدق فى نتيجة رأيه الامام ، فالفرح والوجد أمران
مقدوران على البشر من قديم يغشيان الأفراد والأمم . فأما
الأول ، فأيته الحركة وأما الثانى فأيته السكون . وإذا كان الأول
يخلع على الوجوه بهجة ونضارة فان الثانى يلقى عليها صنفاً من
صنوف الحسن أبلغ معانيه الصبر على احتمال المكروه ، والشجاعة
على احتمال الألم .

إذا صح لى الشك فى قول الأمثال السائرة ان الكلام من
فضة والسكوت من ذهب فلقد آمنت أن صمت الأسي أفصح
من كلامه ، وإشارته أوقع فى النفس من عبارته .

ألا أن الموت لا يطلب إلينا إلا أمراً واحداً ، هو أن نتعظ به
فانه أفصح خطيب ونحفظ الوفاء لمن يموت في الحزن الصادق .
وما مظهر الحزن الصادق إلا غمامة جميلة تعلو الوجه ، ودمعة
حارة تروى الوجنتان ، وتأوده صامت ينتزع من أعماق الفؤاد .
روى أن النبي (صلعم) أتى ابنه ابراهيم وهو في حجر أمه
يخود بنفسه فأخذه النبي (صلعم) فوضعه في حجره ثم قال
يا ابراهيم « انا لا نغنى عنك من الله شيئاً » ثم ذرفت عيناه ثم قال
يا ابراهيم « لولا أنه أمر حق ووعد صدق وان آخرنا سيلحق
أولنا لحزننا عليك حزناً هو أشد من هذا وانا بك يا ابراهيم
لحزونون تبكى العين ، ويحزن القلب . ولا تقول ما يسخط الرب »



اللهم ارحم قومنا فانهم لا يعلمون كيف يحلون وقار الموت ،
ولا ينعمون بهجة الحياة !!

نظرة في الطريق

على هذه الطريق التي تقطعها قدماء كل صباح . ومن هذه المشاهد التي تجرى تحت نظرك كل يوم ، وفي واسع هذه الضوضاء التي يسبح فيها سمعك . أيها السائر . اتدد وانظر ، واتعظ . فبين ذلك صحف حية منشورة بين يديك فيها ، لو تعلم ، حكم بالغة .

ما أرى في الطريق وما يجري فيه كأنه عبارة صارخة تقوم على كلمات شتى !!

وما أكثر مفردات هذه العبارة : فيها العامل المكب على عمله ، والمتعطل الساكن الى كسله ، والمنعم التائه في نعيمه . والبائس المصدوم في بؤسه ، وهذا الطاغى وذاك الباغى . وهذا المسرور وذاك المدحور ، وهذا الشاكي وذاك الباكي ، وهذا وذاك ،

كل واحد من مفردات هذه العبارة . بل كل فرد من هذه الافراد الذين يمرون أمامك إنما هو يمثل معنى من المعاني و « يلعب دوراً » من الأدوار في مسرح هذا الوجود .

هذا كلمة للعمل ، وذاك للكسل . هذا للشقاء وذاك للنعمة
هذا للخديعة ، وذاك للغرور ، وهذا للقوة ، والآخر للضعف
وهذا للحق ، وهذا للباطل . وهلم جراً .

تلتئم هذه المفردات جميعاً لتتركب جملة واحدة بل هيكلًا
واحدًا معناه : حياتنا الاجتماعية .



إذا جاز لأهل البلاغة أن يحكموا على فصاحة الجملة بسلامة
الألفاظ وحسن التركيب فقد يجوز لأهل الاجتماع أن يحكموا
على رقي الجماعة بما تحمله أفرادها من تلك المعاني المختلفة .

في الجماعات الوضيعة تربي المفردات السقيمة ذات المعاني
الواهية فإذا رأيت الطريق تموج بأفراد هذا يمثل دور الكسل
وذاك دور اللئيم ، وهذا دور المنحط ، وذاك دور الخادع . وهذا
دور الدليل فقل ان هذه الجملة الاجتماعية علية لا ينشرح لها
الصدر ولا تجود الا بمعنى الحياة المنحطة .

وإذا رأيت في بلد ما ان الطريق تموج بأفراد تحمل النشاط
قلوبهم والجمال وجوهم ، والبشر محياهم ، والقوة أجسامهم

والنظام أعمالهم ، فقل ان تلك الجملة الناطقة التي يحملها هذا الطريق هي فصيحة بليغة ، تدل على رقى الجماعة

رقى الجماعة هو رقى أفرادها وعظمتها تكون في تعدد أساليب هذا الرقى تعدداً يظهر في اختلاف المواهب السليمة للأفراد .

الفاخرة في ٦ من أغسطس سنة ١٩١٥

رغيف الشفاء

بين الواقع والخيال

في الحياة ناس ممتعون يحويهم الوجود وهو كاره . يدنون
إلى النعيم من طرق يكره الله أن يسير فيها البشر الصالح لأنها
مسالك الأدنياء والأشرار ويقول أهل العبادة والتوكل بأن الله
لا يطرح البركة في عيش هؤلاء الناس وصدق السادة المتوكلون .
ان الرجل الذي آتاك بحديثه ، أيها القارئ ، هو شبيهك
في نوعه الحيواني وأرجو أن تكون أعلا منه في إنسانيتك
وأرق مطمحا .

عاش هذا الرجل حيناً من الدهر بين الناعمين ، يطعم كما
يطعمون من ألوان مختلفة ، وينام كما ينامون على لين الفراش ،
وينخلع الحرير ويلبس الحرير . وكان يشتغل قليلاً ويظفر من عمله
بأجر غير قليل وجاه جزيل وينال من هذا الجاه تحيات وافرات .
ظل على هذا الحال حتى تولاه مس سىء من حياة النعومة
التي ليست من حقه فأصبح شاحب اللون ، شحيم الأعضاء ،
أجشّ الصوت ، مرتجف القلب ، مضطرب الضمير .

هال الرجل أمر مصيبتة ففزع إلى التداوى فجىء له بصفوة
الأطباء .

نصح له الطبيب بالملاهي ليستريض بأنوارها وحسناتها
وحسانها فلم يزدده اللهو إلا سقماً على جسمه ، وسعيراً في نفسه .

نصح له الطبيب أن يتعدى البلاد ويحوز الشرق للغرب
وينعم هناك بأرض حيا الله ربها ، وجدد بهجتها ، فلم تزدده بلاد
البهجة والنعيم إلا هما .

وصف له الطبيب إكسير البحار ، وهواء الجبال ، وعصير
القلوب والأكباد . وصف له الطبيب ما وصف فلم يبق من
الأدوية ولم يذر ولكن ظل فيه الداء .

وبينما هو ذات يوم يفكر في حاله ، ملقى على مقعده ، إذ ساقه
النوم إلى عالمه فرأى فيما يرى النائم كأن الحائط قد انشقت
وظهر له من خلفها شبح نوراني يكاد يكون وجهه كالشمس أو
كالقمر وسمع صوتاً ينادى بأن العلة لا تزول إلا بغذاء من رقيق
طاهر معجون بدم الناس ، بدم لا ينبع من جرح ، ولا يرشح
من مرض .

ذعر الرجل من هذه الرؤيا وضرب في الأرض يسأل كل عالم بتأويل الأحلام حتى التقى بشيخ من أهل الله صالح قال له أنا آتيك بتأويل رؤياك فاتبعني وسار به بعيداً بعيداً عن المدينة وانتهيا إلى شجرة عجوز بارك الله في ظلها لمن يلجأ إليه من عملة المزارع الواسعة القريبة إليها وجلسا يرقبان رجلاً عليه ثوب خلق أزرق يعمل بجهد في الأرض .

ولما كادت الشجرة تنتقل ظلها ، وتتوسط الشمس في السماء مال العامل عن عمله واتجه نحو الشجرة والعرق يتصبب من جبينه واشراق الجهد الصالح يتألق على وجهه وانتحى ناحية في ظلها الواسع وأخرج من جعبة حقيرة رغفانا تكاد تكون سوداء ومعها نبات يؤكل ، ودعا الشيخ وزميله دعوة الكريم ، فتقدم الشيخ إلى الطعام وأشار على زميله العليل باتباعه وأكلا من طعام العامل وشربا من مائه .

شعر العليل بنوع من الرغبة في الطعام لم يكن يشعر به من قبل وبدأ يفكر في أمر الحياة واختلاف جهد الناس فيها ونصيبهم منها وأخذت تتسرب إلى فكره طائفة من الخواطر من شأنها

أن تكسر حدة الطمع وتحقر النعيم المكتسب من وراء الذلة
والدناءة، وتهدى إلى حياة الرضا، والبساطة، والحلال . وكان
فى ذلك اليوم بدء الشفاء .



أن رغيف العامل الفلاح معجون بدمه وعرقه وبينما هو
يهيئه تنقض على كتفه غربان من البشر، يحتلسون من لحمه الطاهر
طعاماً هنيئاً فيئن وهو صابر ولكن الله عدل شهيد يعطف على
الفقير المظلوم جزاء صبره ، ويصيب الغربان بمرض فى الجسم ،
ووخز فى الضمير

سُرنفاش فى ٨ من اكتوبر سنة ١٩١٥

الشباب المدبر

والشعرة البيضاء

أيها القارئ الصديق الشاب

ان الفتى الذى القى عليك قوله كان من هؤلاء الذين أعزهم الله
بآية الشباب فقضى ربيع العمر بين لذة الحب ولذة الأمل ، ولذة
العمل ، ولبت يعدو فى ذلك السبيل الزاهى حتى اشتعلت فى
رأسه شعرة بيضاء أدرك بها أنه قطع فى سبيل الله ما قطع . وانه
كاد يدخل فى مسلك قفر من نعمة الصبا ، ونعيم الغزل .

ظن الفتى أن تلك الشعرة هى نذير كاذب بفوات الشباب ، وزعم
أنها فوتت على نفسها غداءها من لحمه ودمه فايضت نخطبها قائلاً :
« ليس لك أن ترعجنى أيتها الشعرة . فما زلت بحمد الله فتياً
أحب زهرة الربيع الوليدة العطرة ، وأطرب من حديث الغانيات
وأصبو لذكر كل عمل مجيد .

ما زلت محباً للحياة أعانقها إجلالاً لما فيها من عظمة ، وحرصاً
على ما تظهر به من جمال ، فيغشانى الليل ويجود بفترة هادئة
تقبل على فيها طوائف الرغبات واذا بخل الدهر برغبة جاد الليل
لنا عنها بجميل العزاء .

يلحق الليل النهار فيشرق وجه الوجود وتلقى شمس الصباح
في نفس قذيفة من القوة أتعب بها كل عمل صالح . وهكذا
اليوم الصالح ان اغلق في الليل عن عزاء فانه يفتح مع الفجر على
نشاط ورجاء .

هذه عيني أيتها الشعرة البيضاء ، محشوة بالعافية وهاتان قدماي
تحملاني على الأرض غير وجلتين ولا متخلختين ، وهذا سمعي
ليس به وقر ، وهذا بصرى حديدا ، فاذا كنت أيتها الشعرة نذير
الهرم ، والهرم نذير الموت فاجعل اللهم يوم لقائي لك في أيام الشباب
فلقد نعمت به ولقد أحببته ووددت لو ألقاك اللهم فتياً .

يقولون إن في تلك الكواكب البراقة أودية وظلالاً فأى فتاة
من أهل السماء تنتظرني اليوم تحت كروم هذا النجم اللامع
لأقبلها وأشرب من عصير تلك الكروم واستأنف الحب في عليين .
على مرأى من الملائكة والمطهرين »



وأسفاه لو فات الشباب ولم تقض من الشباب اربته .
أن الحياة جميلة وخير ما في الحياة ربيعها وخير الربيع ما انقضى
بين الحب والعمل والأمل .

الدعوات

على ذكر الحرب

لأهل القرى أصوات أجهر من أصوات المتحضرين وربما كان ذلك لأن صدور القرويين هي أقدر على دفع الهواء وهزه بقوة، أو لأن هواء القرية غير ممزق بالحركات المختلفة التي تقوم عليها المدينة، أو لأنه بليل برطوبة النبت الغض والحقول العطرة، أو من هذه الأسباب جميعاً : ولقد طوح النوم عنى صوت علا غير بعيد من نافذة غرفتي يدعولاً خرابالبركات . وبمقدار ما آلمنى أن أتخلى عن راحة كنت فى حاجة شديدة إليها سرنى أن استقبل الصباح على صوت امرئ من الأئس يبنى الخير لأخيه . أثار ذلك الحادث فى نفسى خواطر شتى تطوف حول الدعوات وتجر الى البحث فى ماهية الأمانى ، وما ينجم من الشعور بالضعف عند عدم نيلها وما يكون من الاستنجاد بقوى عظمى تدعن لها قلوب الناس يوم تظل عقولهم وقدرتهم قاصرة عن إدراك ما يطمع العلم فى كشف أسبابه وغير ذلك من المسائل التى يطرحها أهل العلم للتنقيب .

وقد يكون للسادة رجال الدين آراء في تلك المطالب التي يوجهها العبد الى رب حكيم قدير. إن شاء ردها وإن شاء لقيها بقبول .

لست اليوم أبحث في الدعوات من سبيل السادة أهل العلم أو من وجهة السادة أهل الدين وحسبي أنها نزعات فطرية موجودة في البشر منذ علم للبشر تاريخ . يسجل القلب تلك النزعات ثم يرفعها اللسان نحو ملكوت مسير الأمور ومصرف الأحوال .

ولقد كان الناس قديماً يوجهون دعواتهم عند رحاب انصاب معظمة ، أو أرباب مكرمة ، ويقول المتدينون إن الله يتقبل الدعوات اذا صدرت عن قلوب طاهرة ليس فيها غل ولا دنس .

كم في الأرض من دعوة رفعت عن لسان والد يطلب الخير لذريته ، أو نبي يطلب الغفران لملته ، أو حاكم ينشد التوفيق لأئمة ، فهل من دعوة رفعت الى الله من قلب نقي ليصير السلم عاماً والنار سلاماً



يقولون أن بعد الشدة الرخاء ولقد شهدنا شعوباً غرس الله بهم زرعاً ، وشاد بهم عمراناً وأقام لهم مجداً فخل بهم القضاء ،

وجرت في أوديتهم الدماء، وكم من قلب يرجو لو وضعت الحرب
أوزارها فما لله لا يستجيب؟ ألا أن قلوب البشر لم تنزل غير تقية
لا يرضيه دعواتها؟

تداول الدعوات بين الناس نذير بأن القلوب تنهياً للحب،
ومتى ساد الحب القلوب ساد الأرض السلام.

سرفانس في ١٢ من نوفمبر سنة ١٩١٥

الكأس المرة

قرأت في صحيفة من صحائفه ما يأتي :

« كان الحر في ذلك اليوم شديداً . والسائر في أنحاء المدينة يستر وجهه من هبوب ريح سخينة محملة رمالاً مصفرة يخشى الصدر أن يصيبه أذاها فيستنشق نصيبه من الهواء بتؤدة وأناة وكان الناس يحاربون هذا الوجود الشاق على الأجسام باستمرار الثلجات لترطيب دمائهم ترطيباً . ولما آذن النهار بالانصراف كأن ملائكة في السماء خلطت أنفاسها الطيبة في ذلك الجو فطفئ لهيبه شيئاً فشيئاً وترك القوم مضاجعهم الى القهوات يستقبلون ليلة حلوة من ليالى القاهرة .

خرجت الى القهوة في بدء المساء وكنت أكاد لأجد لنفسي مكاناً لوفرة الجالسين فانتحيت جانباً بين ذلك الجمع وكأنهم كانوا من الذين لم تحل بينهم هموم الأيام وصروفها وبين ساعة سرور تقضى في لذة الشراب .

الجمعة صفراء ، مرغية ، نقية ، خالصة ينم عن برودتها بخار الماء المحيط بزجاج الكأس ، ونسيم الليل المنعش يحمل رائحة حبها

الحرية إلى المشام ليشير رغبة الشارين ، ونور الغاز شديد يظهر صفاء تلك الكؤوس المرصوة صفاً صفاً والساقون يروحون سراعاً بأكواب فارغة ويعودون بها ملأى ، والبؤساء من صغار الباعة أو السائلين ينسلون دون أن يشعر بهم أحد لأن السقاة شغلوا بعملهم والناعمين يلهون بنعيمهم وكأن هؤلاء البؤساء كانوا رسائل من عند الله يذكرون بتفاوت حظوظ الناس .

لفت نظري رجل بأئس واهن القوى . نحيل الجسم ضعيف البصر ، يحمل على كتفه العانية فتاة توسدته فنامت وأسدل شعرها أصفر هملاً جميلاً على كتفيها الصغيرتين .

تنام الطفلة في الساعة التي من حق الطفل فيها أن ينام على فراش لين هادىء ولكن المنكودة تنام في غير مأوى . يطوف بها والدها المجرم الجانى حيث فصلها من دمائه المعذبة لتنال نصيبها من الشقاء . لا أدرى لماذا يلد الناس إذا لم يكن لأولادهم سهم في النوم الهنىء ، ولا في الطعام المرىء !

نظرت الى الرجل فاضرب رأسى بأفكار متناقضة وفؤادى بعاطفة ليست محدودة ولا مضبوطة ، فكان يدفعنى عامل من

الشفقة والحنان ويهزنى عامل آخر من القسوة والظلم وربما كان في القسوة والظلم كيان هذا الوجود .

نظرت الى الرجل نظرة متنمرة ورفعت الكأس في يدي وكأني كنت أتخيل نفسي جندياً مظفراً في معمرة كبيرة هائلة قد نسي من لذة النصر ما تحت بصره من هول الموقف وبشاعة المنظر .

رفعت الكأس لأشربها في صحة الظافرين أمام من لا يجد خبزاً ، أشربها صرفة أمام من يتجرع الذل والهوان ، ولكن فرائصي كادت ترتعد من بقايا شفقة كانت في نفسي ولم يكن ما التقي من عسف العيش ، وظلم الوجود ، ومر الحياة لينزعها من ذلك الفؤاد .

شربت الكأس دفعة واحدة على أن مذاقها قد كان
وأأسفاه مرّاً . . . »

على مسرح الادارة

قرأت في صحيفة من الصحف ما يأتى :

« من زمن غير بعيد وأنا أمثل دورى على مسرح أعمال الادارة وكنت قبل ذلك أشتغل بالزراع ، وأدير شؤون فئة من العمال يسعون تحت عيني فى أعداد الأرض ، وتهيتها ، لتنبت رزقنا جميعا . كنت أساجلهم الحديث وكأنى بهؤلاء الفقراء لا شكاة لهم من الفقر . ولا يتذمرون منه لأنهم يملكون متاعا طيبا غير المال بجانب رزقهم الضئيل ، يملكون الهواء الطلق . ورثتين واسعتين تخرج قهقهة الضحك عالية وتهز الهواء هزا . يملكون زهر الربيع . ودر النداء . ونور الفجر المنبثق . وجمال الأصيل . وهدآت الليل الساكن . وكواكب الصيف الريفى الجميل .

كنت قرير النفس بأعمال الحقول ، وكادت تنسينى الحياة الريفية الرتيبة . التى قل ما يتناولها التغيير كثيرا ، مناظر العوز والفقر الفاشى بين سكان المدينة ، على اننى لما عدت إلى القاهرة واستبقانى صحابى بينهم وساقنى القضاء المحتوم إلى عمل عام فى منصب من مناصب الادارة تبينت إذ ذاك صورة جديدة

من أحوال البشر: صورة التنافس في السلطة ، والمكر السيئ ،
والمكر المحمود ، والخديعة ، والحسد ، والجبن ، والتشفي ،
والنفاق ، والرياء وغير ذلك من صفات تلصق بالجماعات التي
تتعدد فيها الوظائف وتتفاوت فيها مراتب الموظفين .

بين هذه الوجوه كنت أرى الوقت بعد الوقت وجهاً شاحباً
خجولاً ، وجللاً ، يلعب به الرجاء ، ويصرعه اليأس . وجه الفقير
يلتمس عملاً لياً كل خبزاً ، ويحمل ملتسمه على قرطاس جميل
بخط جميل واهما أن جمال الطلب وسيلة لقبوله .

كنت في بدء حياتي الإدارية كثير العناية بهذه الطلبات
أقرأها واستعيد قراءتها . وأحملها مسرعاً الى رؤسائي آملاً أن
تصيب قبولاً فاحمل البشرى عن ارتياح وسرور .

تكررت هذه الطلبات ، وتكرر رفضها من الرؤساء ،
وألفت شيئاً فشيئاً قساوة هذا الرفض ، وبعد أن كنت أحمله
إلى أربابه متلطفاً متأسفاً أصبحت أحمله اليهم كما أحمل أى نبأ
لا يتحرك له الفؤاد .

سافر رؤسائي إلى مصايفهم وزودوني ضمناً بنزعاتهم ووكلوا
إلى بعض الأعمال ، فمن أيام تناولت كتاب رجل من القوم

الذين يمضون نهارهم في البحث عن عمل صغير في المصالح أو كتابة خطابات لرؤسائها يسترحمون ويتظامون اليهم من الفقر وحمل العائلة .

كان لهذا الكتاب ميزة تظهره على أمثاله ، كان مرسوماً على ورقة نرعت من كراسة تلميذ في بدء سنى دراسته ، والورقة مصفرة والمداد الذى كتب به كأنه مداد طفل طالما خلطه الطفل بالماء . واليد التى خطته هى يد عانية لا تجيد رسم الحروف والقلم الذى صاغه لا يحسن صوغ الجمل . ليس فى الخطاب أكثر من المعنى الذى تعودنا وعيه من مثل ذلك الكتاب :

الرجل فقير وذو عائلة ويلتمس من مراحم صاحب السعادة عملاً لياً كل منه الخبز وهو يدعو لصاحب السعادة عند الله بطول العمر .

كان ذلك الخطاب فى مجموعه كالامل الشاحب الضعيف وضعته أمانى وغمست الريشة فى الحبر الأحمر ورسمت عليه كلمة الاهمال التى عامنيتها أصحاب السعادة الرؤساء !

رسمت الكلمة بغير رفق فتمزق من الخطاب شئ وثرث الريشة قطيرات حمراء كأنها دم الفقير انتثر من قلب ممزق .

ناديت الكاتب ليحمل هذا الأمل الضعيف المهزوم .
ناديته ليحمله ويقبره في اضمامة الأوراق المهمة مع أشباهه
ولعله هناك يتضام إليها ليشكو إلى الله حال صاحبه فان
الله رحيم ولكنه نزع الرحمة من نظام الأعمال الاجتماعية فليست
الرحمة من قواعدها .

المأخوذة في ٢٣ من يونيو سنة ١٩١٦ .

واسع الرحمة

سرت من نحو ثلاثة أيام فى جنازة متوفاة على دين المسيح ابن مريم ، وقد ألفت كما ألف غيرى مرأى جنازات النصارى فليست غريبة عندى الرسوم التى يتخذونها فى تشييع أمواتهم ولكن كانت تلك هى المرة الأولى التى ذهبت فيها الى مقابرهم فى تشييع راحل عن هذه الدنيا .

رأيت فى قبورهم حسن النظام وتصوير الأبدية فى صورة تجمع الى جلال الموت جمال السكون . على أن ذلك لم يكن ليغرب عني فإن الرقى المدنى الذى اختلطت به حياة الفرنج لا بد أن يكون له أثر فى جميع نظمهم : فى الحياة وعند المات .

وصل المشيعون إلى المقبرة . وهناك خف وطؤهم . وخشعت أبصارهم ونزلت عليهم السكينة وحيا من عظمة الموت بل من جلال الأبدية وعظمة الفناء .

لفت نظرى بين هذه المناظر المرهوبة قوم من السائلين المسامين ينتظرون عند الباب العطف والرحمة .

لقد أحسن هؤلاء البائسون فى اختيارهم تلك المواقف عند أبواب القبور فإن المرء بعد زيارته هاتيك المواطن المحترمة يخفض

من كبريائه ويرق قلبه ، ويصبح رؤوفا بالضعيف ، حنانا على السائل المحروم .

لفت نظرى ذلك لأن عاطفة الرحمة تثلت لى فى هذا المكان وفى تلك الساعة فى أجمل صورة يجب أن تكون عليها الرحمة . عاطفة تخرج من جانب القلب فى سبيل الله إلى كل عاجز ضعيف . عاطفة طاهرة لا تبصر الا الضعف والحرمان .

رأيت على باب مقبرة النصارى سائلين من المسامين . وما أحسبني رأيت قط فى مقابر المسامين مسيحيا يطلب الاحسان . ياليت شعرى : أراجع ذلك إلى طبائع الجماعتين فى فهم معنى الرحمة ، وفى الجود بها أم أحسن المسامون إذ فهموا أن الرحمة لا دين لها فأصبحوا يلتمسونها عند مقابر من ليسوا على دينهم ، وأساء النصارى الفهم فزعموا أن الرحمة لا تخرج خالصة لهم من بين مقابر المسامين فلم يطلبوها لدى أبوابها ؛

أما أن للناس أن يفهموا أن فى الصدور عواطف تود لو تعيش فوق المذاهب والاختلافات ، وأن أحق العواطف بالرعاية فى نزعاتها الحرة عاطفة الرحمة . كتبها الله على نفسه وهو واسعها لعباده جميعا .

ساعة عبادة

فى طريق الرمل رقت سلم الترام مع أمها وأظن أنها تسكن فى «حلة قيصر». صعدت حيث يصعد الناس على ظهر المركبة رغبة فى الهواء الجارى وتسريحاً للنظر ينطلق فى امتدادات الأفق المتصل ببحر الروم . استقلت الفتاة بمجلس كان من الحق أن يشغله اثنان واستباحت لنفسها أن تستأثر بالمكان وحدها لقلة الذين كانوا فى المركبة وقتئذ .

جلست بمغزل متجهة الى البحر، متخذة سياج المركبة مسنداً لظهرها ووضعت ذراعها على متكأ المقعد ثم أسندت رأسها على ذلك المعصم الجميل النحيل . شخصت الفتاة بعينيها السوداوين الطويلي الهديين الى الأفق المتدلى على البحر وانفرجت شفتاها الورديتان عن ابتسامة تكاد تتفتق كما تتفتق الأكمام فى أول تحولها الى زهر نضير وغابت بذهنها عن الناس كأنها كانت تخاطب خلقاً فى الملكوت الأعلى . وكان النسيم يعبث بخصل شعرها الطويل المرسل الأسود فيطوحه برفق الى صدرها ثم ينزعه برفق عن هذا الصدر المشرق المزدان بصليب ذهبي وهاج متصل بسلسلة ذهبية تطوق عنقاً لا يعيبه طول وقد تجاوز حد القصر .

اتجهت حيث يقع بصرى على هذا الخلق الفتان . لم أختلس
النظرات اختلاسا وإنما رأيت أن أشبعها حسنا غير مكترث بما
قد يأخذنى به الناس من تلك النظرات لأننى كنت حينئذ طاهر
النية أمام الله فلا يخجلنى أن أتمتع متاعا طاهرا بجمال فتاة لا تكاد
تبلغ الرابعة عشرة . الفتاة ذات سمرة تبعدها وأهلها أن يكونوا من
أهل الشمال ، والفتاة صغيرة السن لم تتعلم من الناس بعد أن
الجمال كثيرا ما يتخذ وسيلة للخلاء والغرور ، والفتاة لم تتعلم بعد
من الغزل إلا ما علمتها الطبيعة من الميل الى كل شئ جميل
فكأنها كانت تغازل البحر والنسيم أو كأنها كانت تداعب
الأملاك الذين يخفون صورهم عن خيالنا المنطفىء ويظهرونها فى
رؤوس الأطفال فتراهم يسرون وييسمون لنغم مريح يسمعونه
ولا نسمعه . الفتاة جميلة جميلة !! . على المقعد الجنيب لمقعدى
كان يجلس قس شيخ بمسوحه السوداء ويده كتاب من تلك
الكتب المنزلة وكان القس يقطع سطره صامتا متعبداً .
ليت شعرى . أى العبادات كانت الى الله أقرب يا صاحبي
القس ؟ أعبادة رجل يرى الله فى الكتاب ! أم عبادة من كان
يعجب بالمصور الا كبر فى صورة بديعة صورها ؟

شكوى الى الله

كثيراً ما تكيدنى الأيام والليالى فتحول بينى وبين كل عمل أتسلى به وتصرف الى نفسى ضجراً والى رأسى طائفة من الأفكار لا أسيغ معها القراءة ، ولا يلذلى معها الحديث . عند ذلك أفر من سكون الدار فراراً ، وأفر من وجوه الاخوان الى حيث تقودنى قدمائى فى الأسواق فأقف أمام الحوانيت أتسلى بالنظر فيها الى ما يباع ويشترى . واليوم وقفت عند حانوت وراق بالأزبكية ، وطلبت الى البائع الفتى أن يعرض علىّ صنفاً من البطاقات عليه رسم الوجوه الحسان .

لبي البائع الطلب وقدم لى منها عدداً وفيراً فأريت على واحدة رسم جندى يقبل فتاة جميلة وكتب تحت الصورة : من وهب حياته للمجد حق له أن يسعد بقبلة من تلك الشفاه .

وعلى ثانية رسم جندى يبسم لفتاة تودعه وكتب تحت الصورة : سأخضع العدو كما أخضعت قلبك .

ورأيت على ثالثة رسم فتاة وفتى تدل سحنتهما على اختلاف بينهما فى الجنس . فى شمال الفتاة زهرة وفى يمينها عين الفتى

وكتب تحت الصورة : كما اتحدت أوطاننا نتحد على الحب
طول الحياة .

ثم رأيت على رابعة صورة زوج تقدم لزوجها الجندي هدية
عيد الفصح من حلواء وزهر وكتب تحتها : هذه الحلواء وهذا
الزهر الذى يباركه الله فى عيدہ أرجو أن يكون من شأنه أن
يرفع مجدك ، ويبقى لى قلبك .

أخذت أقلب البطاقات واحدة بعد واحدة وفى داخل النفس
أنة تنفر من الحشرات فتمزق الفؤاد تمزيقا وفى العين دمة
تترقق من الذكرى ويمنعها الحياء من السقوط .

أخذت أقلب البطاقات واحدة بعد واحدة وأقول فى نفسى
أى بطاقة يكون فيها العزاء لمن أصبح لا يجد حبيباً يئته كلمة
الحب ، ومن لا زوج له تشاركه باخلاص فى هموم الحياة . ومن
هو من جنس قد تمنعته حقه الأجناس ، ومن ليس له حول
يدفع عن وطنه به الأذى ؟

يا صاحب الخانوت يا صاحبي هل من بطاقة ترسم عليها
السماء دليلاً للعزة الالهية ويكتب تحتها : الى الله يرسلها من تملأ
نفسه الشكوى ؟

يمين رولان

أرأيت إذ تمر في أحياء المدينة الكبرى متسعاً من الأرض
عليه أكوام من الرمل، وألواح من الحديد والخشب، وأكداس
من الحجر والجير، وعليه ما تعلم وما لا تعلم من المواد ومن آلات
التشييد والتعمير؟

تلك المواد وتلك الآلات أكثر ما يستخدمها أهل المعمار
من مهندسى الغربيين أمثال رولان وغيره ممن يعيشون بيننا .
أرأيت هناك آلة يحركها البخار مسلطة على ذراع من الصلب
كأنه ذراع النمرود وهل رأيت هذا الذراع العاتى الجبار يرفع من
الأرض كتلة حديدية ضخمة فاذا قطع بها الى السماء سبيلا تركها
تهوى ، فترتعد حينئذ فرائص البطحاء حتى اذا بلغت الكتلة
مقرها اهتزت منها جوانب الأرض اهتزازاً ، واندكت منها دكاً ،
وكادت من هولها تمور ؟

تلك الآلات وذلك الذراع هو ما أعنى به : « يمين رولان »
وان شئت فسمه يمين المعمار الغربى .



طالما وقفنى تلك العدد مع نفر من الضارين فى السبيل .

طالما وقفت لأشهد جبروتها ، وطالما أخذت الخواطر تنعطف
على رأسى . وترسل معها على وجهى وشفقى ابتسامة وادعة بريئة
من كل ذنب .

☆ ☆
☆ ☆
أغداً -- أقول فى نفسى -- يصبح ذلك المتسع من الأرض
الذى تضرب فيه أثقال الحديد ، وتحفر فيه فؤوس الفعلة ، وتخطه
بنان المعمار . أغداً يصبح ذلك الفضاء عامراً فيرتفع فيه البيت
الشامخ العديد الطبقات ، العديد الشرفات ؟

أغداً تطمئن فى تلك الدور الآباء والأمهات والبنون والبنات
والعروس وعروسه ، والحبيب والحبيب ، لهم فيها مسكن ونعيم
وقد أمر من وراء حجراتها واقطع طريقى فى طول أسوارها ولا
يصيبنى إلا ما شاء الله من هناء الطرف بالقصر المنيف والدار
الشامخة ، وقد يفلت الى سمعى من إحدى نوافذه نعمة شادية ،
أو دقة عازف تطير من تحت أصبعه رنة ينشرح لها صدرى ،
ويرتاح لها قلبى ، وتجرى بها مهجتى ؟

☆
☆ ☆
☆ ☆
وحقاً يا أخى ما هى إلا أيام معدودة حتى يستقيم البيت ،
ويتنفس العمار فى أرض كانت بالأمس خراباً وكل ذلك يرجع

أكثر الفضل فيه الى تلك الآلات التي جهزها العلم والتي
اصطلحت بيني وبينك على أن نطلق عليها اسم «يمين رولان» .



إلا أنني لا أخفي عنك أيها الصديق القارئ أنه على عجابي
بتلك العدد والأدوات ، ومع إكباري لكثير من مظاهر المدنية
الحديثة في تخطيط المدن وتصوير المنازل، فإن حسرة تستولى على
نفسى عند ما تضرب « يمين رولان » على وجه أرضنا من غير
رحمة ولا اشفاق فتزول من آثارها رسوم مدننا، وتضمحل
أشكال هندستنا ، وتتحول أنظمة بيوتنا ، وتتغير أساليب عيشنا
وعاداتنا الخلقية ، وكثيراً ما تتناسب العادات والأحوال النفسية
مع ظروف المكان والمحيط .

واحسرتاه على منازلنا التي نبتت فيها طبائع الكرم ، وشيم
الوداعة ، تستحيل الى بيوت غريبة تملأها آلاف من الناس
كأنها ثكنات الجنود ، أو مكامن النمل العديد .

واحسرتاه على تلك « المناظر » التي كان يغشاها أجدادنا
وآباؤنا فيصرفون فيها سمرهم ، وينشرون في جوها أنسهم ويفيض
في جوانبها جودهم المطبوع ، وحسبهم المرفوع .

واحسرتاه على تلك الدور ذات « الحيشان » والغرف الوسيعة
التي لا تضيق فيها الصدور وينطلق فيها المحيا بالبشر والأيناس .
واحسرتاه على كثير من المعالم الشرقية يطغى عليها سيل الغرب
الجارف فيغرقها وكم فيها من جمال !



إن في مظاهر عيشنا ومدنيتنا ، الطيب الصالح فلنستمد له
من مدينة الغرب دون أن نضيعه ولنعمل على أن لا تستبد بنا
المدينة الغربية في كل أمر ، ولنعمل على أن تترفق بنا
« يمين رولان » العاتية .

القاهرة في ٣ من نوفمبر سنة ١٩٢٢

القهوة والبيت

نبهني صديق الى قهوة في إحدى الطرق التي يكثر فيها غدوى ورواحى . لم تبلغ تلك القهوة من العمر إلا أياماً . عليها نضرة الشباب ، وعليها بهجة الجديد ، وهى مغمورة فى لجج من الأنوار ، ويفشاها الناس فيعمرونها كما يعمر الجامعات طلاب العلم المخلصون .

تواجه القهوة حارة هادئة تجد فى أقصاها مساكن لم يرفع الغنى أهلها الى طبقات الدور الشاخنة ولم ينزل بهم الفقر الى تلك الموائل التى تجثو الى الأرض فتكاد تغور فيها غوراً .

وقفت ذات ليلة فى الطريق البرزخ الموصلة بين القهوة وبين الحارة بحيث أشعر بالسكون الشامل لتلك المنازل وأشهد عن بعد من القهوة لآلىء الأضواء وما يجرى فيها من مظاهر الحركة والمرج .

وكأن الحركة والأضواء التى كانت تفلت الى من تلك القهوة العامرة كلمات فيها معنى اللوم ، والازدراء ، والعتب ، والتشفي ، والمفاخرة . كأن القهوة فى هرجها وأفراحها تناجى البيوت فى

سكونها وأساها وكأن البيوت كانت تتوجع من ذلك الحديث وتئن
ايه أيتها البيوت . . .

انك خلوت من الحياة المؤنسة التي تنشرها في رحابك الزوجة
الصالحة والابن النجيب . وانك خلوت من العطف والتراحم
الذي يتولد من تضام الأسرة ومودة العائلة . وانك خلوت من
روح السرور الذي ينتشر من أنس الأخلاء والأصدقاء .

انك لا تستكملين أسباب الراحة والرفاهية . أين منك ضوء
درى ؟ . أين منك منافذ تستعطف عليك الهواء العليل ؟ أين
منك صور وفنون تتخذين منها زينة وحلية ؟ . أين منك زرابي
مبشوة وطنافس مفروشة ؟ . . .

ان جوى مشبع بالسرور وجوك مشبع باثقال الحزن والنكد
انى مضيئة باسمه وأنت مظلمة قاتمة . فانقضى على عروشك .
ايه أيتها البيوت ! . . .



كأنى كنت أشعر عندئذ ان منافذ بيوتنا المسكينة الحزينة
عيون مقرحة من البكاء ناظرة الى تلك القهوةات شاكية الى الله
من مر الألم وكأن البيوت تقول :

تَبَا لَكَ أَيَّتْهَا الْقَهْوَاتُ ! . . انك تجذبين الى أحضانك الخبيثة
أربابنا وفتياننا فيصرفون فيك قطعاً من الليل وجزءاً من النهار
يتبادلون فيك سمرهم وينفقون فيك أموالهم .

انك تأخذين اليك الزوج من زوجه ، والأب من بين بنيه ،
وتجعلين عرصاتنا خالية ، وأجوافنا خاوية .

على أنك أَيَّتْهَا الْقَهْوَاتُ إن كنت تفخرين علينا بقوم يعمرونك
ويتركوننا فكم يغشاك من خامل كسلان لا يرفعه بين الناس شرف
العمل وكم يغشاك من ماجن مستهتر ذنى لا تعمربه أرض ولا
تغبطك عليه دار . وكم يغشاك من وارث مضيع يأكل من
عمل الغير ويشرب من دمه !!

لا نخرلك علينا . ايه أَيَّتْهَا الْقَهْوَاتُ . . .



يقولون من ينشئ مدرسة يغلق سجننا ، وأقول من ينشئ
قهوة يخرب بيوتنا

يا قوم لا تعمروا القهوات وتهدموا البيوت . وان أردتم بناء
مجد الوطن فأعمروا البيت ونظموا العائلة . . .

فى ذكرى عام

للمرء أن يتسمع ما يخفق به قلبه ويقيد ما يمر من الخواطر
بوجدانه . وله أن يخفى منها ما شاء وله أن يعلن منها ما شاء ما دام
الناس لا يصيبهم أذى من سره ولا مكروه من جهره .

أقيد بعض ما اتصل بنفسى فى الساعة التى كانت برزخاً بين
العام الميلادى الذى رحل وذلك الآخر الذى حل .

غشيت قبل منتصف الليل دارى . والتحفت حرصاً على
الدفء بدثارى فى ساعة كان بردها على شديداً . وأخذت على
نفسى أن لا أضجع وأن لا أنام حتى يلفظ العام نفسه الأخير .
فاذكر له بالخير ما أحسن به إلى وأسامحه فيما أساء . ولكل راحل
إلى الله حق فى الذكرى وحق فى المغفرة .

جلست على مائدة كتابتى . وأخذت أعد بطاقات اكتب
عليها كلمات التهاني والمجاملة . وأخذت أحصى الأسماء على قطعة
من الورق . فلما انتهيت من ذلك الاحصاء وأعدت عليه النظر
تولانى خاطر مزعج اضطربت له النفس . وقد يزعج النفس الألية
ما قل كما يزعجها ما جل .

غداً أرسل لزيد تلك البطاقة . وفي غد يحمل البريد لخالد تلك الأخرى . وفي غد أغشى دار بكر لا بسم في وجهه .

في غد يحصل كل ذلك ولكن كم من هؤلاء الذين أذكركم غداً لا يسعدنى وجودهم ولا يشقنى غيابهم . ولا يسعدهم وجودى ولا يألمون لفقدى . على أنى أجامل الناس كما يحاملوننى ، وأخضع معهم لقوانين النفاق الاجتماعى كما يخضعون ... فتباً لأساليب الحياة . تعلم الناس النفاق باسم الجميل والأدب .

وفي اليوم الذى أحيى فيه من لا تسعدنى بسماتهم ولا خير لى ولهم فى تبادل التحيات . يحول الزمان وصروف الدهر والغير بينى وبين من كانت تشرق لى بسماتهم . ومن كان الله يجعل لى من دعواتهم ظفراً وسعادة . . . ان الحياة تقوم حقاً على معاندة الانسان .

تركت مائدة كتابتى وفتحت باباً لأصل بين غرفة نومي وغرفة عملى حتى يتسع المكان لسيرى وخطواتى التى يستفزنى اليها القلق ، ثم جعلت أدخن بشدة بين جيئة وذهاب فى مدى الغرفتين . ثم استلقيت على كرسى كبير وشرعت أتسلى برؤية ما أدفعه فى جو الغرفة من دخان يذهب من صدرى ذرات متآلفة

مقاربة ثم ينتشر ، ثم ينسط ، ثم يتلاشى في الجو كأنه لم يكن .
أخذت أتذكر في مكان الله الواسع أراضى أحببتها ونعمت
فيها حيناً . وتذكرت في زمان الله الواسع أياماً كالعسل قد
مضت وانتقضت . وتذكرت من خلق الله الذي لا يحصى عدداً
أشباحاً تلاشت في ظلمات الثرى . تذكرت وتذكرت
وتذكرت كثيراً .

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نرحا
ثم أخذت أحاسب نفسي على زلاتها . وأزن أمامها آمالها .
وأتبين في ذهني . بل في غشاء قلبي ، بل في لحمي وعظمي ما فعله
به الزمن . وما رسمته عليه السنون .

وإنما أنا مستغرق في أمرى نهتني من غرفة أخرى دقائق
الساعة الكبيرة الى الالهة لوداع عام يفوت . . .

كأن دقائق الساعة كلمات يعدد بها العام المنصرم بعض
ما يذكره لنفسه من خير وشر . كان العام يقول في دقائقه الأخيرة
تن . . . سخرت من الغافلين حتى صحوا من الشدة والمحن ...
تن . . . أغريت الانسان بالذهب الوهاج قهافت على ناره
كما يتهافت على النور الفراش . . .

تن . . . جعلت في الناس والأمم من يعملون لقتل الضعيف
ولو كان بريئاً .

تن . . . آويت اللص ، وسترت الخديعة . وكثيراً ما أعليت
الباطل على الحق . . .

تن . . . نفرت بين قلوب وأشعلت ضغائن وأثرت فتناً . . .
تن . . . صرفت الناس عن وجهك يا الله ليعمدوا إلى الآثرة
والشهوات . . .

تن . . . تمخضت بآراء وقدمت عظام وعبرا . ولكن الناس
لا يفقهون . . .

تن . . . أحرقت أفئدة وأجريت دموعا وشربت دماء . . .
تن . . . كم من صحيح أضعفت . . . وكم من عزيز أذلت . . .
وكم من عليل داويت . . .

تن . . . جردت أشجارا من ورقها الأصفر الجاف . . .
وابدلتها منه ورقا جديدا . . . وجعلت عليها زهرا نضيدا . . .
تن . . . صرفت العاشقين وهم في سكرات القبل عن مرارة
العيش . ثم أخذتهم أخذ الجبار فبدلت هناءهم تعسا . وبدلت
سعادتهم شقوة وجحما . . .

تن . . . لييك اللهم لييك . . .

وما كادت تضمحلّ في أذنى الرنة الأخيرة التي كانت تمام
الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل لآخر شهر ديسمبر من
سنة ١٩٢٢ حتى تصعدت من قلبي زفرة وحارت في عيني دمعة .
عندئذ وجهت وجهي شطر السماء قائلاً :

أيّتها الأزلية التي تجتمع فيها الأزمان المتوالية وتستقر عندها
الأحقاب المتتابعة . وتتوحد في وحدتها جميع الخلائق . مغفرة
لما قدمنا من ذنوبنا وما أخرنا . وصفاء لنفوسنا بما تصفو به
نفوس الصالحين . . . اللهم آمين

الغامرة في ٥ من يناير سنة ١٩٢٣

فى نعيم الفن

... ثم ذهبت الى الملهى

وهناك عزف العازفون وتضاءلت الأنوار . وامتلأ المكان
نعماً . وتشبع الجو أريجاً .

ثم تطاولت الأعناق ، وتوجهت الأبصار . ثم عم السكوت ،
وحق الانصات فلا تسمع حسيماً .

ثم انحسر الستار عنهن . وكن نسوة كثيرات ومعهن رجال .
ثم انصبت الأضواء ذات الألوان من الثريات والآلات على تلك
الأجسام ليظهر كل جزء من أجزائها . وكل حد من حدودها
وتقاسيمها . وكأنهن كن يسبحن فى لحج من شمس وأنوار .

ولقد ذكروا الى خيراً كثيراً عن «الجوقة» الروسية الراقصة التى
وفدت الى مصر قريباً وكان الحق فيما ذكروا . وكنت أتمادى فى
التردد إلى الذهاب لأشهد هذا الفن خضوعاً لصوت كان يدب
فى نفسى ، وخضوعاً لما يستكن فى القلب من عادات وعقائد
قد نشأت من آدابنا القومية وأخلاقنا . فكنت أقول أأذهب
إلى مجالس الرقص ، وطالما أحببت أن اكرم نفسى بمجالس

الكمال . وكنت أقول أأغشى مطارح الأهواء والمجون ، وطالما ألفت أن أعرض نفسي للجد والعمل . على أننى علمت بعدئذ أن فى الله ما قد يدفع للجد ، وأن فى مجالس المجون ما قد يستفز للكمال ، وأن فى المسارح ما قد يرفع الانسان من عالم الاشباح إلى عالم الأرواح . وكذلك رأيت من رقص « أنا بافلوفا » وكذلك ما سمعت من نغم . أحقاً كانوا من نسوة ورجال يذهبون ويحيئون على مسرح التمثيل ؟ أم تلك طيور كانت تتهاذى ؟ أم غصون كانت تتمايس ، أم تلك أزهار كانت تطوح بها النسمات ؟ أم تلك اشارات من السحر علمتها الملائكة للبشر فكانت توجه النفس الى التسبيح والتقديس ؟ أم تلك اشارات إلى الملاء الأعلى تدل على أن فى الفن الجميل معراجاً إلى الله

تالله ما ألم بنفسى فخش عند ما تمايلت التمايلات واهتزت القدود ، وتوردت الحدود .

وتالله ما ألم بها فخش عند ما درج الدارجون ووثب الواثبون . وتالله ما ألم بها فخش عند ما تخاصر المتخاصرون ، والتفت الغصون بالغصون . كان أذرعاً وأيدياً عند اشارتها تستخرج من الفضاء حسناً كامناً فتنتره الى الابصار فتشعر به القلوب . وكأن

أرجلاً تحجل على نعمات القيثارة والأعواد تقطع في الفضاء مسلماً
من الحسن تبيينه عند تلك الخطأ . ذلك كان رقصهم ولقد
أصبحت أستنكر أن أطلق اسم الرقص على تلك الحركات عند
ما أتذكر مراقبنا التي رأيتها تدعو إلى الفجور ، وتناجي النفوس
بالفحشاء والمنكر .

كانت الراقصة طيراً تمثل أجمل ما على الطير . وكانت الراقصة
زهراً تمثل خير ما تتلون به الزهور وتتشكل به الورود . بل كانت
الراقصة خفة ، ورشاقة . بل كانت الراقصة نسيماً .

أظن أن في حركة الطير . وفي صورة الزهر . وفي هبة
النسيم . وفي ملاحه الرشاقة ، ما يدعو إلى البغي والفحشاء ؟
كلا . وتالله ما مر بنفسى فخش فان في جمال الفن ما يسمو بالنفس
عن وساوس السوء وطامقيد الجمال نفوس الناظرين عندهيكاه
المقدس فلا يعرفون عنده لغواً ولا كذباً ولكنهم يعبدون
وقد يعشقون

خفي وارقصى ياراقصة الروس وعامينا من تلك الحركات التي
تدعو للعبادة والتقى . إن الله هو ذلك الفنان الأعظم .

العيش الحقير والعيش الكبير

ليست الحياة ملهى تتوجه فيه بأبصارنا إلى مسرحه الواسع
لنشهد أدوار الممثلين . انما الحياة تدعونا لأن يمثل كل منا دوره
ويقوم بنصيبه فى روايتها التى تتعدد فصولها ما تعددت الذرارى
وما تعاقبت الأجيال .

من الناس من يتهافتون على الخير الذى يصيب عشيرتهم
وأمتهم من غير أن يكون لهم فى جلب ذلك الخير نصيب ،
ومن غير أن يدفعوا فى مشتراه ثمنًا . وأنهم كذلك قد يتوقون
الشر إذا نزل بالجماعة التى يعيشون فيها ، بل قد يبالغون فى
سبيل الوقاية وما كانوا ليتنبهوا إلى الشر لولا ان جاءهم بذلك نبأ
من غيرهم . ومثل هؤلاء الناس مثل الرجل الخامل فى القافلة
يقطع معها الصحراء كيفما تسير حتى إذا بلغت القافلة ماء بعد
جهد وعناء ، أخذ ذلك الخامل يروى ظمأه ويسيق الماء عذبًا
فراتًا كما يسيغه من أرشد اليه وأتعب النفس للحصول عليه .

اننا نعيش فى حياة اجتماعية نحتذى بنظمها ونتنعم بخيراتها
وتتكون من عناصرها ولم تكن تلك الحياة الاجتماعية من عمل

فرد معين أو من عمل ظرف معين . ولكنها من عمل الجماعة في أجزائها وفي كليتها ، ومن عمل كل ظرف يحيط بالجماعة في غابرها وحاضرها وسيرها . وعلى ذلك فقد يكون من العدل أن نرد بمجهودنا وأعمالنا إلى تلك الجماعة ثمن ما يصيبنا من حياتها ونظمها .

وفي الحق انها حياة حقيرة تلك الحياة التي يظهر فيها الفرد مستفيداً من كل شيء دون أن يفيد . متأثراً بكل شيء دون أن يؤثر . منفعلاً بكل شيء دون أن يكون لبعض شؤون الحياة فاعلاً . انها حياة حقيرة تشبه حياة الحيوان الدنيء أو النبات الطفيلي .

لكن للانسان حياة أعلى من ذلك واكبر . لأن للانسان عقلاً وإرادة . فيستطيع بالعقل أن يجعل للحياة قصداً يسير اليه وأن يرسم لحيته نموذجاً ومثالاً حسناً . وانه بالارادة قد يوجه جهوده إلى الوصول لقصده ، ولتحقيق ما رسمه لنفسه من مثال حسن نعيش في بيئة مكونة من مخلفات من سبقونا . وفيها أعمال لمن عاصرونا . ولقد يكون لنا من مخلفات هؤلاء وأعمال هؤلاء ما نستفيد منه ونحمدهم عليه . وقد يكون لنا كذلك من مخلفات هؤلاء وأعمال هؤلاء ما فيه لنا تعس وشقوة . أفنقصر همتنا على الحمد تارة وعلى الذم أخرى ! . . .

يحركنى لمعالجة هذا الموضوع أن أرى فئة من الناس من مواطنينا لا هم لهم إلا أن يستفيدوا لانفسهم من العيش دون أن يحاسبوا ضمائرهم فيفكروا فى مصلحة الجماعة ويتذكروا أن ما يصيبهم من خير كانت الجماعة منشأه وما قد يصيبهم من سوء قد تكون الجماعة مصدره . ان الانسان الرشيد مكلف فى كلتا الحالتين أن يعمل لتمكين الخير، أولدرء الشر .

لقد اكره الجامد الذى يحرص على ما ألفه من حياة فينظر فيما خلفه ، ويقلب النظر فيما حوله ولا يضرب ببصره فيما يمكن أن يكون امامه فى الطريق . ذلك هو أعمى النفس وأعمى الفؤاد .

ولقد لا أحب الذى يذهب به خياله الطائش فيترك سبيل خير معروف لسبيل قد يتوهم فيه خيراً كبيراً . ومثله مثل الكلب الطماع الذى عبر النهر بقطعة من اللحم فرأى خيال اللحم فظن أن الخيال حقيقة وترك ما كان عنده لينال هذا الخيال فباء بالخسران .

اكره طريق الأول ولا أحب طريق الثانى . وانما ابغض منهما الى نفسى ذلك الذى لا يجب من الحياة مثلاً يتناول

اليه . ولا يجب منها جالة يعمل على استبقائها . ذلك هو الطفيلي
الذى يكسب لنفسه من وراء كد الغير .

كن ثائراً ان شئت ولتكن الحياة فى نظرك تافهة مردولة
فلا تريدها فى شىء . ولا تريد أن تستبقى من شؤونها شأناً ،
ولا تريد إلا الهدم لما نظنه لا يصلح إلا للهدم .

وكن محافظاً جامداً ان شئت . تريد أن تحيا على ما وجدت
نفسك عليه ، لانك ترى الخير كل الخير فى حياتك ، فتحارب
كل هدام وتقف فى وجه كل جديد لانك لا ترى خيراً فى
الهدم ولا ترى خيراً فى الجديد . ولكن حذار أن تكون طفيلياً
تترك الحياة فتأخذ منها دون أن تؤدى إليها . واعلم أن حياة
ذات قصد تعتمد على الفكر لهى شريفة لنسبتها للفكر والقصد
والعمل . وان حياة لا قصد لها إلا الانانية ولا يوجهها فكر من
الأفكار لهى حياة منحطة حقيرة . واعلم أن خير العيش أن
تعرف أن الحياة حق وان التقدم المعقول حق ، وانه من الواجب
عليك أن تشترك بشىء من جهودك فى هذا التقدم المعقول .
بذلك تدخل فى عيش الأبرار ، وقد تتوصل منه إلى عيش العظماء
والأطهار ، فاعمل لغيرك واعمل للتقدم دائماً

فى شم النسيم

... وكانت اكثـر الحوانيت مغلقة فى ذلك اليوم . حتى
حانوت صاحـبى الحلاق الايطالى، حتى حانوت الأرمـنى بائـع الدخان
الذى كنت أحسبه مفتوحاً فقصدت اليه لابتاع من بضاعته
ما اعتدت أن أشتري . وبينما أنا أضرب فى المناهج الوسطى فى
المدينة كنت أجد أحيانا جماعات من نساء الفرنجه ورجالهم ،
أو ممن تشبهوا بهم من الشرقيين يتأهبون لركوب المركبات
والسيارات ومعهم صناديق فيها طعام وشراب . وكانت رياح
خفيفة تهب أحيانا على وجهى فترمى عليه مما كانت تحمله من
خلاصة الرمل والطمى . وكنت كلما تنحيت لأنـجو من أثر العفر .
أو كلما أخرجت من جيبى خرقتى أمسح بها وجهى وعينى ، كنت
كثيراً ما أتذكر النيل والصحراء وكلاهما مصدر لهذا التراب .
وفى هذا التراب خير مصر من تـبر ونبت ينعم به أهلها الزارعون ،
وينعم أهلها الحاصدون .

ولكن خاطراً قد تولد فى ذهنى من اجماع أهل الأديان
والأجناس المختلفة على أن يحتفلوا بيوم شم النسيم .

لقد رأيت مرة بينما كنت أسير خلف دار الأوبرا صبية من
لماى أعقاب السجاير يرتعون ويلعبون . فوقفت فى ناحية لأنظر
الى مرحهم وأضحك من هذه السذاجة الرثة اللاعبة . . وبينما
كانوا فى شغلهم إذ أقبل عليهم صغير من مساحى الأحذية ووضع
صندوق عدته بجانب الجدار ونسى واجبه من السعى على الرزق
وأخذ يلعب هو الآخر مع نظرائه اللاعبين . وبعد قليل أقبل
عليهم صغير رومى ممن يتجرون بالكعك والحلوى فوضع بجانب
صندوق المساح سلة تجارته وحيا الصغار بابتسامة فحيوه بأحسن
منها ثم أخذ يشاظرهم أصناف اللعب من جرى ووثب . عندئذ
أيقنت أن للطبيعة حكماً أقوى من حكم الأجناس وأوضاع الحياة
وشؤونها . أنهم صبية نسوا أن وراءهم أعمالهم التى يكسبون منها
أقواتهم . ونسوا أنهم من أجناس ولغات وديانات مختلفة . نسوا
كل ذلك فجمع الصبا وشئون الصبا فيما بينهم وعلى ذلك علا
صوت الطبيعة على صوت الآراء الاجتماعية التى طالما كان من
أمرها أن تفرق بين الناس وطالما كان من أمرها أن تدعوهم
للتناوب والشقاق .

وكان الأمر كذلك في شم النسيم . فقد اجتمع أهل مصر
على الاحتفال به فأغلق صاحبي الحلاق حانوته . وأغلق بائع الدخان
الأرمني حانوته كذلك واجتمع الفرنجه والنصارى والمسامون
واليهود في مصر على أمر واحد : على تحية الربيع وتفريح النفس
بمقدم الربيع .

وكم من صوت للطبيعة يدعو الناس للتقرب ، ولكن الأفكار
الفاسدة ووساوس القلوب المعتلة طالما سعت للتفريق .

القاهرة في ١٣ من إبريل سنة ١٩٢٣

عيد آمنة

... أنها قطعة من النسيج الرقيق في نحو المترين ، ولم تكن لتصلح لشيء مذكور تلك القطعة التي بقيت من جلباب لسيدة من سيدات الدار . اتفقت فتيات البيت على أن يعلن من تلك القطعة رداء لآمنة لتلبسه في يوم العيد .



آمنة فتاة صغيرة في نحو الثامنة من العمر ، قصيرة القامة ، مليئة البدن ، بسامة الوجه ، مشرقة الجبين . ولقد أبقتها أمها القروية عندنا لتتعرع في حضانة من في الدار فهي أصغر من في البيت سنًا وهي صديقة للبيت ولمن في البيت . وهي ابنة للجميع وخادمة أمينة للجميع .

ولما عامت الفتاة الصغيرة بمشروع سيداتها من أنهن يحتلن يجعلن لها من قطعة النسيج جلبابًا تترين به في العيد ، ولما تبينت صحة الخبر إذ رأت تفصيل الثوب وخياطته ، فاض على وجهها السرور وفاض في نفسها النشاط . فتطوعت لكل عمل من الأعمال التي تقدر عليها . بكرت على غير عادة فأطعمت دجاج

الدار وحمامه وملأت أوعية الماء ونشطت كل النشاط على غير ما ألفنا منها ، ولم يكن لهذا من سبب إلا أنها تحققت أنها تلبس الثوب الجديد غداً ، وأنها تلبس حذاءها وتستقبل العيد .



لقد كان الأمر نجاء العيد ، وارتدت الفتاة ثوبها القشيب ، وزينت جيدها بعقدها الخشي ووضعت في جيها كل ما اقتصدت من مآيات لا تتجاوز عدد الأصابع . واذن لها أن تلعب في الحارة أمام الباب .

ولم يكن في البيت انسان إلا آمنة والشيخ الأسود العجوز . أما نحن أهل البيت فكنا ذهبنا الى المقابر وكلنا قد بلغنا من العمر ما يؤهلنا لذكر أعزاء لنا قد غابوا في الثرى . فمنا من يذكر زوجاً ، ومنا من يذكر أمّاً أو أخاً أو أختاً ، ومنا من يذكر والدّاً أو جدّاً ، ومنا من يذكر اخواناً وأصدقاء .

ذهب الكل الى القبور ليدكروا في يوم العيد موتاهم . ولقد تحمل نفسى فوق تذكّار الموتى اثقالاً من شئون الحياة ومشاعلها . عدت من المقبرة وقضيت بعض ما اصطاح الناس

عليه من واجب المجاملة في العيد ، ثم قصدت الدار لأستريح فيها فوجدت على الباب آمنة تمرح وتلعب .

وجدتها اشراقاً وبهجة . وجدتتها غبطة وسروراً . وجدتتها وكأن جميع أعضائها الصغيرة تشير الى أن أنظر اليها في جلبابها الملون الجميل . أما الشيخ الأسود فكان على مقعده أمام الباب . منحنيًا على مسبحته ، لا يكثر بشيء إلا بدمدمة الأذكار التي قد تعود ذكرها عند ما ترتاح نفسه للعبادة .

لم تكن آمنة لتشعر بما أشعر به من حزن ولم تكن آمنة لير بخاطرها ما يشق على نفسى من المشاغل والواجبات . ولم تكن آمنة لتقدر من الحياة إلا أنها ظفرت بالثوب الجديد وأنها نالت من بين قريناتها حظوة وبهجة في هذا العيد . لم تكن آمنة لتقدر إلا ذلك ، وحرام على الأيام أن تدس في تلك القلوب الغضة إلا ما يلائمها ويريد الله أن يجعله نصيبها من غبطة وفرح .



حرام على الأيام أن تسوق الحزن الى الصغار . وحرام على الأهل أن يشركوا أبناءهم في أحزانهم فيصحبوهم معهم الى المقابر ، وقلوب الصغار لم تهياً إلا للسرور والأفراح .

حرام على هؤلاء الأهل أن يصدعوا تلك الأفئدة التي لا تريد
إلا أن تدق ببهجة الحياة، فيحولوا بينها وبين بهجة الحياة .
حرام أن نشرك الصغار في آلامنا وحسب الصغار ما تعدده لهم
السنون والأيام من شدة ومحن .



لقد حاولت أن أفرح بالعيد كما تفرح آمنة ولكن هيهات !
هيهات ! فقد حالت السن . بل وقد حالت المشاغل بيني وبين
سذاجة المسرة . لم يعد للذين جف ماء الفرح من قلوبهم إلا أن
يستفيضوه من نفوس الفرحين . وهل أدنى إلى الفرح من قلوب
الصغار والاملين والأصحاء المعافين والمنعمين الذين غفلوا عن
حوادث الدهر وغفلت عنهم عيون الأيام ! أن هؤلاء هم الذين
تنجذب اليهم من الوجود مظاهر السرور كما تنجذب إلى الحديد
الكهرباء فلنتفع بخصائصهم ويجب أن ننال عنهم قسطنا من
السرور، ويجب أن نهد لهم حياة الأفراح حتى يفيض علينا
شيء من بهجتهم يسرى عن نفوسنا سحائب الأم .

لم يبق لى ولا مثالى من أيام الأعياد إلا ابتسامة نأخذها
مما يفيض من شفقتى أمثال آمنة .

قرايين الانتخاب

كان الناس في قديم الزمان يقدمون القرايين والضحايا رغبة في رضا آلهتهم ، أو لاستغفارهم من الذنوب ، أو ليجعلوا مما يقدمون وسيلة لمعرفة شيء من علم الغيب ، والوقوف على كل شيء من أسرار الالهية وعزتها .

وقد كانت تقدم هذه القرايين وهذه الضحايا من خير ما تحرص عليه الناس من لحوم الحيوانات الغريضة . ومن الفاكهة الطيبة ومن خير ما تنبت الأرض من بزر وحب ، ومن خير ما يحتسبه الانسان من خمر يلذ الشاربين ، ومن خير ما يتطيب به الانسان من دهن ومن خير ما يحرقه من بخور !!

كانت الناس تجود بأغلى من هذا وذلك . كانوا يجودون بضحايا من البشر عند ما يحسبون تلك الضحايا البشرية ترفع مقت آلهتهم ، وتزيل غضبهم ، وتمنع تقمتهم . وكمن حيوان أغرقه اليونان في اليم إرضاء لآلهة البحار ! وكمن تراب خلفته النيران من عظام ولحوم ليختلط ذلك التراب بباطن الأرض زلفى لمن يسكن جوف الأرض من الآلهة !! وكمن دم غاص في

التراب ليروى منه سكان الأرض الأقدسون !! ولكن مرت
العصور على هؤلاء الأجيال من البشر قهذبت عقولهم شيئاً
فشيئاً، ورقت نفوسهم رويداً رويداً، وضعف سلطان الأساطير
والخرافات فيهم ، فقلت الضحايا ، واستبدلت بضحايا البشر
دمى وتمائيل قد تلقى فى الماء . وقد يرمى بها فى النيران فداء لتلك
العذارى التى كانت الآلهة تشرب من دماءها وتنهش لحومها !!



استبدلت كثير من التقاليد والطقوس الدينية بتقاليد وطقوس
حديثه هي خير من الأولى . فأبطلت عادات ممقوتة . ونزلت
أرباب عن عروشها . وأنقذت الأذهان من سلطان آلهة موهومة .
على أن ربا من الأرباب لم يزل مسيطرًا على أغلب نفوس البشر .
لا يرتدع برادع الدين ، وقد لا ينهأ زاجر العقل ، وقد لا ترحزحه
عن عرشه زلزلة العواطف المتيقظة !

أتدرى من هذا الرب القدير ؟ أتدرى من هذا المسيطر الجبار
القهار ؟ ؟ ؟

أنه رب المصلحة الشخصية . وأنه أجشع الأرباب فى طلب
القرايين !

لا يقنع من اللحوم . ولا يشمل من الدماء . ولا يستمرىء
الفاكهة ولا يستطيب الشراب . ولا يرغب في طيب الدهون
أن رب المصلحة الشخصية يريد أن يتقدم له القوم في
الانتخاب بقرايين من الضمائر . . . !
ويل له ! . ويل لهم من رب الأرباب ! . . .

الفاخرة في ٨ من بوليه سنة ١٩٢٣

الوطن

... وكنت كمن نقل الى عالم آخر حين صعدت الى الباخرة،
للمرة الأولى ، بعد عشر سنين لم أبرح في أثنائها مصر ولم أعبّر
في خلالها بحراً، فتذكرت أياماً خلت كابدت فيها أسفاراً وقطعت
فيها أمصاراً . تذكرت عمراً كان الصق بالشباب ، ونفساً كانت
أكثر قبولاً لمعاني الحياة وخيلاً كان أوسع لصور الأمل .
تذكرت نفسى اذ كنت أقل تجارب في العيش ، وأكثر جرأة
في سبيله ، وأقل حملاً من تبعاته . تذكرت النفس في الغابر ،
وعرضت لها في الحاضر ، ونظرت بين النفس اذ كانت في ضحاها ،
وبينها وقد أثقلتها التكاليف فمالت بها عن سمت الشباب . ثم
حسبت أن شئون الحياة هي مصدر ما يآلم منه الفؤاد . ثم حسبت
أن ذلك المكان من الأرض الذى أبرحه مصدر ما يضيق به
الصدر فكدت أقول للباخرة : اقلعى سريعاً ، وتوغلى على اليم
وسيرى الى حيث لا أرى من شرفاتك إلا أفق الماء والسماء ،
فأرسل أفكارى متواصلة فى عظمة الكون ، فلا داراً أراها
تذكرنى بوحوش البشر ، ولا ضوضاء أسمعها ، ولا بغضاء أشهد

آثارها ، ولا أوراقاً أقرأ فيها اللغو والباطل ، ولا وجوهاً كريهة ،
ولا سحناً منحطة .

فالى بحر الظلمات ، أيتها الباخرة ، أو الى بحر الزمهرير ،
أو الى منطقة يجهلها الانسان فأنسى عند هذا العالم الجديد الذى
تذهيبين بى اليه كل ما يسوء من الماضى ، وكل منظر مكروه من
مناظر الغبراء . فلا أرى شكلاً من أشكال الشقاء ولا أرى صورة
من صور الخداع والنفاق ، ولا أرى صورة من صور المذلة
والخنوع ، ولا أخضع لقانون من تلك القوانين الفاسدة التى
ينوء بها ظهر الأرض ، ويروجها الانسان بحماقته وظلمه .

ولكن الباخرة لم تكد تتحرك حتى ضعفت فى نفسى سورة
الغضب . ثم أخذت تخف قليلاً قليلاً مع سير السفين . ولما كاد
يخفى عن ناظرى رأى الشاطىء وما عليه ومن عليه من الأهل
والاخوان خمدت السورة ، وخبث النار وحل محلها فى القلب
نسيم الحنين .

أقول للباخرة عندئذ سبرى فى رعاية الله ، أيتها الباخرة ثم
عودى بى الى أرض أحفظ منها صورة ابتسامة مشرقة ، واعى

منها صدى دعوات خالصة ، وأعرف لى فيها اخواناً وأحباء
وأصيب من جهود عاملها خيراً ، وأرعى فيها صبية وصغاراً ،
وأعالج فيها أملاً عزيزاً .

سبرى أيتها الباخرة ثم عودى بنى الى أرض الأحباء .
حيا الله مصر . حيا الله الوطن .

البحر فى ٢٨ من يونيو سنة ١٩٢٣

الأكروبوليس .

وقفه بالحصن المقدس

من نحو ثمانية وخمسين حولاً ، جاء إلى هذه الهضبة العالية التي تشرف من الجنوب على مدينة آثينا ، رجل كان قد بلغ من العمر وقتئذ سن الرجولة ، محيط بتاريخ البشر ، عالم بتطور المدن ، فوقف ساعة على سطحها بين معابدها البالية التي شهدت نحو خمسة وعشرين قرناً خلت وقفة أنزلت على نفسه كلاماً صافياً ، نقياً ، نيراً ، أشبه بكلام المأخوذ من المسيحيين بجلال الكون وعظمة الله .

اسم هذا الرجل رينان وكان من أكابر البشر ولقد تضمن قوله عن معابد « الأكروبوليس » نوعاً من التمجيد لذوق الأغريق وفهم وعلمهم وتاريخهم حتى صغر عنده حيال عبقرية اليونان كل أثر من آثار الشعوب الأخرى ، وقل في نظره أمامها كل جليل من مجهود القرائح .

جئت إلى هذه الصخرة ولست متدرباً بما تدرب به رينان من العلم ، ولا أملك قلماً كقلمه يسيل بالعدوبة والبيان . ولكني جئت إليها بقلب هيأته الظروف لأن يحس بما يحس به فؤاد

صحيح . لأن يحس المؤثرين الخالدين : الجمال والألم
أسجل اليوم بعض ما مر بنفسى عند زيارة تلك المعابد ،
والإمعان فى دقائقها ، خضوعاً لما توحى إلى الخاطر عبر التاريخ
من غير حرص على ما يحرص عليه الواصفون ، ومن غير عناية
خاصة بما يعنى بذكره المؤرخون . وان ما يسجله هذا القلم لضرب
من التصوير لبعض حالات النفس عند ما يسمو بها الى عالم آخر
معنى من معانى العظمة والكمال .

الجمال المهمل

اثينا فى ٣ يوليه سنة ١٩٢٣

... وبكرت إلى «ألا كروبوليس» فلما بلغت باب الجنوب
اندفعت بسرعة لست أدرى لها سبباً ثم أخذت أسير رويداً
رويداً فى طريق مصعدة تنبت عليها أعشاب برّية أزهر بعضها
وعلى جانبي الطريق شجيرات من الصنوبر والزيتون قصيرة
هزيلة مصفرة ، وقد يرى الناظر قطعاً كثيرة من أعمدة ، وحجارة
وصفائح من المرمر ، على بعضها نقوش وكتابة وقد ألقيت هذه
البقايا جميعاً على الطريق هملاً من غير نظام . وبينما كنت اتلفت

تارة يمنة ، وتارة يسرة ، وتارة للامام ، اذ قيد البصر رأس عمود رفيع ملق بين هذه الأحجار نحتت عليه أوراق نوع من نبات الشوك . جلست عند هذه القطعة الحجرية الصغيرة التي كنت أستطيع أن أرفعها بيدي من غير جهد . وفي هذه الجلسة كنت أتصور كل ما يستطيع أن يتصوره الإنسان من معاني الحسن ثم أسامت نفسي مسحوراً بجمال هذه القطعة التي قد يمر أمامها السائر من غير أن يتنبه إليها وهكذا الحال في كل جمال مهمل .

كنت أقول في نفسي كيف لا يعنى القوم بهذه القطعة فلا يمتنعون عنها مس الرياح ، ولا يحمونها من صيب السماء ، ولا يحولون بينها وبين قيظ الصيف ، ولا يضمنون بها على عوادي الدهر والغير ؟ ! ثم كنت أعود الى نفسي وأحاورها فأقول أكان اسلامي لجمال هذا الحجر المنحوت ضرباً من التأثير بما كان يلقي في روعي من جمال فن اليونان ، أم كان فهماً صحيحاً للحسن قذف الله به في قلبي بعد عمر لم أعرف فيه نفسي مفتونا بالجمال ؟ ! وبينما كنت أتخيل صورة الأوراق على هذه القطعة أطول مما هي وبينما كنت أتخيلها أقصر مما هي ، وبينما كان خيالي يمد في انحاء هذه القطعة طولاً وعرضاً ويتعرض أوراقها صغيرة وكبيرة ، قليلة

وكثيرة ، كان كل ما يهيئه الخيال حقيراً إذا قيس بما هي عليه في الحقيقة والواقع وكأني كنت أقرأ عليها كلمتين صافيتين من كل ابهام : البساطة والجمال .

ما الجمال ؛ وماذا أقول في الجمال !

الجمال خطيب صامت لا يرغب أن يتحدث الغير عنه إذ في صمته كل فصاحة وفي سكوته كل بيان .

الجمال نسب وأوزان قد تحسه النفس أحياناً بواسطة العين بعد خلوصه مما يعلق به من مادة واضواء . وقد تسمعه النفس أحياناً بواسطة الأذن دون أن يلبس أحرفاً أو تكون له لغة تحفظ في المعجمات .

الجمال متكبر ، قاهر ، متكبر لأنه يجل عن أن يقدمه للنفوس أحد فهو يعرف نفسه بنفسه . قاهر لأنه يغلب الأنا نفس القوية على أمرها فيوقع في أسرهِ من شاء ، ويتخير لرقه من شاء .

الجمال كالله وكالقوى الخفية من حيث أنها لا تعرف بذواتها ، ولكنها تعرف بآثارها .

الجمال صحراء واسعة لا حدود لها يضلّ فيها السارى من أى ناحية سار ولكنه أينما سار وجد فيه جنات ونعيماً .
الجمال كتاب عظيم وضعه مزين السموات والأرض القادر على كل شئ .

الجمال ضرب من الأدب فهو رواية طويلة لا تنتهى فصولها ولا يتعب ممثلاً ، ولا يمل شاهدها .

الجمال ضرب من المنطق والمعقول مقدماته العين ، أقيسته الفؤاد ، ونتأججه الوجد والهيام .

الجمال عبد صالح لله فلا يطلب اليك فى حضرته الا أن تسبح لمولاه .

الجمال معنى طلق لا يريد أن يحد ولا يريد أن يعرف لأن الحدود والتعاريف من سفاسف الأمور ، والجمال لا يتصل بهذه السفاسف .

الجمال معرفة والله أعرف المعارف ،

و بينما كنت مغرقاً فى شدة الاعجاب بهذا الفن ، تاركاً لذاكرتى أحياناً أن تتمثل بعض أوان من المرمر أخرجت من مصر أخيراً من مقابر الملوك ، وحبست فى دار الآثار فى قفص من زجاج ،

بينما أنا كذلك أنعم النفس بمقارنة الجمالين. واتخيل شيئاً رأيته على
ضفاف النيل ، وامعن النظر فى شىء أراه على جانب صخرة
(الأكروبوليس) إذاً قبل الحارس الأعرج وكان ينبغى أن أشعر
بمقدمه من بعد لما يحدثه صوت قدمه وهو يمر بتثاقل على حصى
المشى لولا إغراقى فى ضرب من الخيال .

ضحك الحارس فى وجهى ودمدم بكلمات يونانية فهمت منها
عبارة الجمال وأشار بالانصراف . تبّاً لك أيها الحارس ، لقد قطعت
على عبادة حارة خالصة .

القاهرة فى ٣ من اغسطس سنة ١٩٢٣

وقفه بالحصن المقدس

العرق دساس

خرجت وقد قنعت من زيارة الأمس بالاستمتاع بدقة الرسم المنحوت على رأس العمود الملقى بين الأحجار على جانب أحد طريقى «الأكروبولس». وكان لتلك الزيارة أثر رغبنى فى الفن والحسن حتى أخذنى هيام وولوع بالجمال . آليت على نفسى بعد ذلك اليوم أن أتجمل فقلت والله لأقصرن شاربى ، وأرجلن شعرى ، وأعطرن لباسى . ووالله لأجروئن فى سبيل التأنيق فاثبت على صدرى زهرة غضة ، وأزين أظافرى ، وأضع فى أصبعى خاتماً يتلأأ نوره . وأرسل على صدرى سلسلة من الذهب البراق وأمشى بوطء خفيف عند ما يحسن الوطاء الخفيف ، وأسير مرحاً عند ما يحسن السير مرحاً .

لا أريد أن يكون شفيعى فى سبيل التأنيق وفرة مال ، فالمال حقير . ولا أريد أن يكون شفيعى فى سبيله علماً ، ففى العلم باطل وغرور . ولا أريد أن يكون شفيعى فى سبيله جاهاً وحسباً فالمرء ابن نفسه وكل امرئ عن نفسه مسئول . حتى ولا أريد أن

يكون شفيعى فى سبيله ملكاً فالملك لله جميعاً . انما رضيت أن يكون شفيعى فى سبيله عبوديتى وخضوعى لرب الحسن والجمال أعبدته مخلصاً لوجهه العبادة ، ولقد كان من عبادة آلهة الغابرين منذ القدم أن يتشبه الإنسان ببعض أوصافها .

أخذتنى تلك النشوة ، بل أخذتنى تلك الجذبة وأخذت أقول فى نفسى : الجمال فضيلة ومن الخير أن يعمل الإنسان الحيلة ليتصل بجميع الفضائل . ثم شرعت فى الذهاب إلى حانوت لا يتاع منه بعض ما استعين به على التجميل والتأنق .

طلبت الى صاحب الحانوت أن يعرض على أثنى ما عنده من العصى دون أن يحسب للاتفاق حساباً ، وبينما هو يعرض على أرشقها وأظرفها شكلاً إذ حانت منى التفاتة إلى عصا غليظة خلت من الحسن ولكن ملامح البأس والمتانة تبدو عليها ، فلم أرد البصر عنها حتى انتزعتها من بين أخواتها ، ثم عجمت عودها فبرزتها بعنف واتكأت عليها بقوة ، ثم مثلت عندى فضيلة المتانة . مما أط... المتانة فى الجسم ، وفى الخلق ، وفى العصا .



عفواً يا ربة الحسن إذا لم أف بالعهد فحشت في حلفي وعدلت
عن سبيلك إلى سبيل رب القوة .

عفواً يا ربة الحسن فالعرق دساس فاني من بلد شيدت فيه
الأهرام واكبراهله الأقدمون البأس قبل أن يكبروا الجمال .

اغريتنى يا ربة الحسن فكدت أغفل لحظة عن رب القوة فلما
توجهت إلى أنظاره واخترقت حجب خمسين قرناً مضت وناداني
من خلف معبد من تلك المعابد القديمة القائمة على ضفاف النيل
أبت اليه تائباً ، نادماً ، وانتزعت العصا المتينة رمزاً لتقدير القوة
وإجلال المتانة ، ثم هرولت أضرب بها في مناهج أثينا الجميلة
ذاكراً اسم الله القوى الدائم قبل اسمك الجميل .

أثينا في ٤ من يوليو سنة ١٩٢٣

الله اكبر

قصدت إلى سطح الصخرة حيث بقية هياكل الآلهة .
لقيني دليل فرددته إذ أحسبني لست أحتاج إلى دليل فاذا
بشيخ هرم، رث البزة، كره المنظر، قد اقترب مني وخاطبني بلسان
فرنسي تنسحب عبارته السقيمة متعثرة بين فكين ارتخت
عضلاتهما ووهنت أدواتهما ففهمت منه أنه يريد إرشادي ، وأنه
لن يلح ولن يغلو في الأجر وأنه يفخر بنفسه فيحسب أنه يعلم
ما لا يعلمون .

أخذتني رافة بذلك الشيخ الفاني ، وقلت لعل الخير عند
هؤلاء الشيوخ ، فأومأت إليه بالقول فتقدم متوكئاً ، متباطئاً
في صعوده ، حذراً في خطاه ، وكنت أحوطه بنظراتي حرصاً عليه
من السقوط . فلما جئنا إلى مكان يشرف على هضاب أثينا
ومنازلها أشار الدليل الشيخ بعصاه إلى هضبة وقال هنا على هذه
الهضبة من نحو ثلاثة وعشرين قرناً كان يقف « ذيموستينس »
خطيباً بين أهل أثينا ثم نظر إلى وقال : أتدرى من « ذيموستينس » ؟
فتجاهلت فقال كان فصيحاً كبيراً ، فقلت وكم في الناس اليوم

ياشيخ من طلق اللسان فصيح ! فقال أجل ولكنهم يخدمون الباطل
بفصاحتهم . أما « ديموستينس » فكان يخدم الحق بفصاحته .
ثم أشار بعصاه إلى هضبة أخرى وقال وعلى هذه الهضبة
كان مجلس قضاة « أثينا » ليحكموا بين الناس بالعدل تحت سماء
الله وعلى رأى من تمثال رب العدل . ثم استطرد الشيخ من أمر
القضاة في « أثينا » البائدة إلى القدح في قضاة هذا الزمان وشئون
هذا الزمان . وصبرت على شرحه بل صبرت على تشاؤمه حتى
بلغنا معبد البتول « أثينا » ربة الحكمة .

لا أريد أن أتحدث بما تحدث به الدليل « ديمتري » من خطأ
في التاريخ أو صواب . ولا أريد أن أذكر لك كيف استحال
هيكل الربة البتول « أثينا » إلى كنيسة للبتول مريم بعد نحو
اثني عشر قرنا من تشييده . ولا أريد أن أذكر لك كيف
استحال هذا المعبد بعد نحو التسعة عشر قرنا من تشييده إلى
مخزن لذخائر الترك ومعدات قتالهم . ولا أريد أن أذكر لك
ما أدى إليه حصار أهل البندقية من تخريب هذا الأثر البديع
وتحطيمه . ولا أريد أن أحدثك بما حملة لورد الانجليز إلى بلاده
من كنوز هذا المعبد في القرن التاسع عشر . على أنني أعيد

خواتم الجمل التي كان يحتم بها « ديمتري » الدليل شرحه وحديثه :
« آه لو قدر القساوسة الفن فلم يحولوا ذلك المعبد إلى كنيسة .
وآه لو فهم الترك جمال الفن فلم يحولوا ذلك المعبد إلى دار لذخائرهم
أو دار لرهبهم ! وآه لو أخطأت قذائف المتحاربين هذه الآثار
المقدسة فلم يهدم منها ما تهدم ! وآه لو أبقت اللوردات في تلك
المعابد كنوزها وآثارها ! ثم آه لو احترم الناس نتائج العبقریات
ومجهود العقول ! » جمل فيها حسرة وعبرة .

أما جمال هذا المعبد ، وروعة هذه البقايا والآثار ، ونظام
هذه العمدة . ونسق تلك النسب . فلا أحدثك به مهما أطرقت
إلى ، ورغبت في قولى . فلا القلم قادر على ضبط تصوير هذه
الدقائق . ولا اذنك قادرة على وعى ذلك الضرب من الحسن ،
إنما هى عينك ، وإنما هو فؤادك . فأقبل إلى وقف معى وقفة
« بالاكروبوليس » ثم حقق النظر يتحرك الفؤاد .

ولكن شيئاً يبقى بالمعبد من اثر النصرارى . ولكن شيئاً
يبقى بالمعبد من اثر المسلمين ! آلهة حلت الدار اثر آلهة . وزمان
استخلف على هذه الآثار اثر زمان . وأحداث وغير تمر على تلك
الأحجار والانتقاض خلف أحداث وغير . ودول تأتى وأخرى

تدول . فمن رب الأرباب ومن رب المكان والزمان ، ومن محدث الأحداث ومغير الغير ومعز الدول ومذل الملوك والقرى ؟
سبحانه سبحانه ما اكبر شأنه .

عفواً أيها الاله الأعظم وغفراناً إذا أنا بقيت ساعة بهذا المعبد أناجى ربه الأولى ، وأتمثل قروناً خلت ومدنيات عظمت .

إنكم معشر الآلهة تتعالون عن التعدد فأتم واحد وإن تعددت أسماءكم ، ووحدة وإن تعددت صفاتكم . وفي ذكر أحدكم ذكر للآخر كما يعلم الراسخون .

لقد كنتم دهوراً وكانت عروشكم قم هذه الجبال ، ومعابدكم من مرمر مسنون ، وفي خدامكم عذارى يشرق جباهن حول تلك المعابد ، وينتشر عطرهن حول ما يحرق من بخور .

كنتم تخاطبون الناس على قدر عقولهم أيها الآلهة يوم كانت عقول البشر أقل مرانا على فهم المعاني العالية ، فتصورون أنفسكم في حدود تصوراتهم ، وتشكلون عظمتكم بأشكال خصالهم ، فتقتلون مثاما يقتل الإنسان ، وتغضبون مثاما يغضب ، وتلعبون مثاما يلعب ، وتمكرون مثاما يكر . اختلطتم بأهل الأرض ، وكنتم تعيشون بينهم ، وتتبادلون وإياهم المشاعر ، وكنتم ضيوفاً

عندهم وكانوا عيالاً عليكم وكانت حياة البشر حقاً مقدساً .
ولكنكم قدرتم أيها الآلهة أن عقول الناس قد مرنت ، وأن
بصائرهم قد صفت ، وأن قلوبهم قد رقت فتحولتم في الأذهان
إلى آلهة ذوات معان دقيقة وصفات لطيفة لم يفهمها الناس حق
فهمها فتباعدت المسافة حينئذ بينكم وبين نفوس الناس . ثم
تحولتم بعد ذلك إلى ربوبية واحدة ومعنى أوسع وقوة أشمل .
كانت ييوتكم هياكل ، وكانت كنائس ، وكانت مساجد وان
تلك الهياكل التي شادتها يد الانسان ستزول ، وان تلك
الكنائس التي خطتها يد الانسان ستزول ، وان تلك المساجد
التي دعمتها يد الانسان ستزول . ولكن عروشكم الأولى القائمة
على جلال الكون وجمال الطبيعة باقية لا تزول

والآن أجلس في بيت من ييوتك يا ربة الحكمة فلا هو
بالهيكل ، ولا هو بالكنيسة ، ولا هو بالمسجد ولكنه بيت يحفظه
التاريخ ويحوطه العلم وتحترمه الحكومات ، وتحج إليه العلماء ،
ويطوف به أهل الفن ، ويذكر في عرصاته الذاكرون كيف تتغير
الأحوال وكيف تستحيل المدينيات وكيف يفهم الجمال !

تحولوا ما شئتم أيها الآلهة حسبما تجدون من ظروف الأرض

والزمان واستعداد العقول ، ولتسعد بكم أحزابكم فلقد تبينت
ربى وعرفت إلهى .

هو رب أبى مذ كنت فى صلبه . ورب أمى مذ تكونت فى
أحشائها ، هو رب كما تعلمون واسع باسط . له بيت من حجر
لا تقوش عليه كيوتكم ولا فن فيه . لا يضره إذا فتت بيته
واستحال رمالا تذروها رياح الصحراء الملهبة . ولا يفرحه
ان سبكت له مدنيات الدنيا وفنونها لأن كل شىء ما خلاه
باطل فهو غنى بنفسه وهو قانع من المعابد والبيوت بكثرة من
الحجر الأسود لا نسق فيها ولا جمال .

ربى . يارب الدار . بدوى الطبع يقنع من الأرض بالرمل
الواسع . ومن السماء بكواكبها وغيثها وحسبه الشعور بوفرة
العزة والكرامة .

ذلك هو ربنا . يارب الدار . ذلك هو رب الكعبة الذى
نودى اسمه بعد عشرين قرنا مضت على هيكلك بين جدرانها
فقال قائلنا حينئذ الله اكبر . الله اكبر . حى على الفلاح .

لقاء الوطن

... وحينما كانت تسير بنا السفينة فى الليل حيث لا نرى إلا نجوم السماء ، والأفق مظلم من جميع النواحي التى تحيط بالفلك يمت نحو ربان الباخرة حيث كان فى غرفة عمله فحيته وقلت أنحن الآن فى منطقة مصرية أيها الربان ؟ فقال نعم فقلت ومتى ان شاء الله نرسى على بر مصر ؟ قال فى ضحى الغد . عندئذ تولانى ضرب من السرور ، وسرى الى فؤادى نوع من الاطمئنان ولبست درعا من العزة ، فاشعلت غليونى ثم أخذت أسير على ظهر الباخرة ، وأخرجت من محفظة أوراقى كتبا وردت الى وأنا فى بلاد الغربية من أهل وأصدقاء ، كتباً كنت هممت بتمزيقها وطرحها بعد أن علمت ما بها إلا أن عاطفة حالت بينى وبين أن أقبر تلك الرسائل فى أرض غربية نائية فلما علمت أننى أتنفس من هواء مصر ، وتظلى سماؤها . ويحملنى ماؤها ، ألقيت فى اليم بتلك الكتب التى قدرت أن لا فائدة من حملها وقلت فى نفسى اليوم لا ضرار فالآن تزول حروفها فى ماء الوطن وتتحلل مادتها

ثم نزلت الى غرفة نومي وأوصيت الخادم أن يوقظني مبكراً حتى أتخير مكاناً على ظهر السفينة أستطيع أن أعتزل فيه لأتبين منه أرض مصر من بعيد وقتما يقدر النظر على تبينها . ثم ألقيت بنفسي على مضجعي ولكن خواطر كانت تضطرب في رأسي حالت بيني وبين نعاس كنت في حاجة اليه . ثم غلبني النعاس أخيراً ثم أوقظت وقتما أردت . ثم صعدت الى ظهر الباخرة وشخصت ببصري الى حيث يمكن أن يلوح الشاطئ . وكان الفلك يسير . وكأن الفلك كان سيره بطيئاً . ومن بعيد بعيد تبينت خطأ طويلاً قائماً يتجلى في الأفق . تبينت تلك الأرض التي طالما قدرت لها جيلاً . وتجاوزت لها عن ذنوب وسيئات ، فقهضت واقفاً ومددت ذراعي الى حيث أرى ذلك الشبح المحبوب وقلت سلاماً وتحية ورحمة من الله عليك مصر أمنا الرءوم . لو أن الله قضى على الساعة بالموت للقيته مستريحاً وأنغمضت عيني على شعاع من النور يفيض من شمسك ، ولفظت آخر زفير يحمله الصدر من هوائك . ولو كان للسانى أن ينطق وقتئذ بكامة لكنت دعوة لك صالحة ختامها الحمد لله رب العالمين . ثم انتقلت من مكاني الى مكان آخر حيث أحضر لى قلم وقرطاس فكتبت هذه الكلمات « أحب مصر لأن كل ما يتصل بي من خير إنما

هو من فضلها وبركاتها. أحب مصر لأننى أحب آمالاً تولدت فى
منها، ولأننى أحب خيراً يوحىه الى ما فيها من شر، ولأننى أحب صالحاً
يوحىه الى ما فيها من فاسد، ولأننى أدرك فيها تقصاً يحجب الى الكمال.

أحب مصر لأننى أراها مزرعة واسعة ضعفت أرضها وهرم شجرها
المثمر، وأساءت الحشائش المفسدة الى نبتها الطيب فلعلى أصلح
فيها باعاً من الأرض ، ولعلى أعين فيها نبتة نافعة على النماء ،
ولعلى أستمع يوماً فيها بشرة ناضجة. أحب مصر مستودع عظام
ودماء أنا جزء منها ، ومستودع تاريخ وأحلام لى فى جميعها
نصيب ، ومستودع قلوب تحنوعلى وتتصل دقاتها بدقات فؤادى».

ثم أحضر لى الخادم طعاماً وبعد أن طعمت صعدت مرة
أخرى على ظهر الباخرة . تبينت عن بعد دور الاسكندرية
العالية فقلت : « سلام عليك أيتها الدور ما دام فى اهليك من
يتقى الله فى حق هذه البلاد . سلام عليك ما ظلت فىك نفوس
ترعى باخلاص صالح هذا الوطن »

ثم أفلتت دمعة من عيني من أثر الانفعال فنزلت الى غرفتى
لأهين متاعى ، وانزل الى البر والتقى أرض الوطن .

لعام ١٩٢٤

فى مقدم هذا العام ، انتقلت من دارى القديمة التى كنت أسكنها الى تلك الدار التى أسكنها الآن . وبينما كنت أعمل ليلاً فى ترتيب أمتعتى . وإخراج كتبى ، والصور التى أزين بها الحوائط من حقائبها وصناديقها إذ أخرجت من أحد تلك الصناديق صورتين تعودت أن أحلها فى غرفتى مكانا يكثر عليه تردد النظر .

كانت إحدى الصورتين لعزير قصى فى شرح الشباب . فكنت أخرجها من قاع الصندوق كأنى كنت أخرج تذكاراً ماضيا من أعماق القبور . وكانت الصورة الأخرى لعزير بعيد ما زال حياً . تشخصه مذ كان فى ربيع العمر باسمها .

أخذت الصورتين برفق . ونظرت إليهما نظرة دعت الى نفسى عظة وحسرة . وامتزجت ذكراهما فى الخاطر بانتقالى من دار الى دار . بل امتزجت ذكراهما فى الخاطر بانتقالى فى العمر من عام الى عام . ثم تغلغلت تلك الذكريات المختلفة من حبيب مات . وعام فات ، وعزير غيرته الأحداث والأوقات ! !

تغلغلت في النفس تلك الذكريات فهاجت الخيال ، والعواطف
والفكر . حول ذلك الدهر وحول ما يسوق من عبر .



لقد أفنى الدهر صاحب الصورة الأولى فاستحال الى تراباً
وستنسى يوماً ما من النفوس ذكره .

ولقد حول الدهر بعد عشرين صاحب الصورة الأخرى
من حال الى حال . نخط على الجبين خطوطاً لم تكن عليها من
قبل ورسم على تلك الحدود ثنيات . وانضب من ذلك الحيا
ينبوعاً من ينابيع البسات . وأبدل سلوكاً من الشعر الذهبي
بسلوك من الفضة . وأسكن ذلك الرأس فكراً ومشاعل
لم تكن لتسكن ذلك الرأس الجميل في العبا . واسكن ذلك
الفؤاد الطيب آلاماً ما أشدها على ذلك الفؤاد الحساس . وأزال
من ذلك القدر المياس نشاطاً وخفة ما أحوج الجسم إليها في
سبيل الحياة .



تذكرت ما أحدثه الزمن في الشخصين ، فكررت النظر في
الصورتين ، ولكنهما على ما كانتا عليه من نيف وعشرين ! .

ما زال رسم البسمات على تلك الشفاه بادياً وما زالت الأعين
فيهما لا تغمض عن مرأى هذا الوجود !

عندئذ تخيلت الزمن ضعيفاً بنفسه لا يقوى على سرعة تغيير الجماد
عندئذ ذكرت أن أقرب ما تصل اليه يد الزمن هي الحياة
والأحياء والنفس ومن بالنفس ومظاهرها يعيشون .

عندئذ حقرت الزمن لضعفه أمام المادة .

وعندئذ أكبرت الزمن لقوته وقدرته على الأرواح والنفس .
عندئذ استقيست الزمن لتحويله الصبح ندباً ، ولتحويله
البسمات دموعاً وأنان ، ولتحويله النشاط وهناً ، والوهن فناء .
عندئذ حمدت الزمن فقد يحدث الآلام وقد ينسى الآلام .



أصغرت شأن الزمن ، وأكبرته ، واستقيسته وشكرته .
وكانت تلك العواطف والأحكام المتناقضة تتربع نفسى ، وتفور في
رأسى ، فتدفعنى الى نزعات ونزوات وتطوف علىّ بخيالات حتى
رغبت فى أن أتخلص من تذكر الزمن وشرعت فى أن أخرج

ولو برهة صغيرة عن سلطانه الحقيق الكبير ، القاسى المشكور .
خطر ببالى أن أرتدى ملابسى واخرج ليلاً واعين الناس غافلة
لأقصد على غير ما ألفت داراً من تلك الدور وهناك أشرب ،
وأطرب ، وألهو وألعب . فالسنون تطوى ونحن عن حياتنا غافلون ،
والعمر يتقدم ونحن عن انفسنا ساهون

هممت ولكن . . . ولكن ما كدت أم حتى عاقتنى العوائق
وأقربها منى ضعف الجسم ويقظة الضمير .

فيا معشر الشباب احرصوا على حسن استخدام الزمن
ولا تتركوه يمر دون أن تنالوا منه ما قد ينيله من رقى فى النفس
وسرور . واعلموا أن أطيب آثار الدهر فى العيش ما يتصل بنفوس
الأحياء من صفو ، وحب ، وصفاء .

الغاهرة فى ١٢ من يناير سنة ١٩٢٤

السماء

ترسل السماء أضواء في الليل والنهار . وطالما أحييت السماء
الخلائق بأنوارها وحرارتها . وطالما هدت كواكب السماء سفناً
ضالة الى بر النجاة . وطالما أمدت السماء عواطف البشر بخير
ألوان الشعر والخيال . فأسكنوا آلهتهم أنفهم ما تخيلوه في السماء
من أبراج وطبقات . ثم نقلوا على الأرض أمثلة مما تصوره .
فعملت الفنون إذ ذاك شئونها : فشيدت المعابد الضخمة . والبيع
الزاهرة . والمساجد العامرة .

إن الزهور والحقول لتنتعش انتعاشاً عند ما تشرق عليها
الشمس من سماواتها في الصباح . وأن أرواح الأفراد والأمم
لتنتعش كذلك إذا أشرقت عليها شمس المثل السامية .

المثل الاسمى هو سماء صافية تستخرج البصيرة من كبدها
كل خير ، بل هو أفق رفيع يستنهض العواطف اليه ، فتتحرك
النفس دائماً للرقى والعروج ، بل هو معنى إذا امتلأت به نفس
الإنسان استصغراً أكثر ما يشغل الناس من سفساف الأمور .
بل هو إشراق ساطع كابتسامة الحور العين يملأ لآلؤه النفس

غبطة وارتياحا ، بل هو ذلك الرقيب القوى الذى يسدد الخطا ويوفق الفعال الى حيث يريد الخير والحق أن تكون تلك الخطا وتلك الفعال . ذلك هو المثل الأسمى . ذلك هو سماء النفوس الصافية .



في تلك السماء المعنوية - - سماء المثل الأسمى - - كواكب تهتدى بها النفوس الرشيدة التى تعلم كيف تهتدى بها كلما يهتدى الملاح بنجوم السماء وهو يسير فى البحر الزاخر . فيها كواكب للعدل ، وللرحمة . وللمحبة ، وللعطف ، وللكرامة ، وللخير ، وللحق وكم فيها من كواكب الخصال الحميدة ، والشيم الكريمة . وفى تلك السماء ترسم أشباح الأنبياء ، والقديسين والعظماء والصالحين من الناس والأبرار والصابرين والشاكرين والذاكرين . كلهم كواكب وفى تذكرهم نور يهتدى به البشر .

فليجتهد كل إنسان فى أن يصل بين حياته الأرضية المادية بتلك السماء المعنوية . وليربط بسبب بين عالم الحقيقة الحاصلة وبين عالم الخيال الجميل المنتظر ، وليعلم أن الحياة الدنيا لا تطيب إلا إذا مزجت بحياة روحية عالية مداها المحبة بين الناس ، وغرسها السلام ، وأفقها السماء .

الموت الساخر

« انجل » رجل نحيف الجسم . ممتقع اللون فقير الثياب له عينان واسعتان يسفلان جبهة ظاهرة العظم ، ويعلوان وجنتين بارزتين . له شاربان رقيقان طويلان مرتفعان وإذا ابتسم تنفرج شفتاه عن أسنان ناصعة البياض ، قوية حسنة الرص والترتيب . وخلاصة القول في وصفه أنه لطوله ونحفه وقلة لحمه ودهنه وابتسامته الخاصة أدنى الى صورة تلك الهياكل العظمية التي يخلصها الموت من الإنسان بعد زمن قليل .



طالما كنت ألقى « انجل » في حانوت الحلاق . وطالما كان يقص على سوء حاله ، مع كثرة عياله وقلة أشغاله . وكثيراً ما كان يشور في حديثه على نظم الحياة . وكثيراً ما كان يسب الفقر ، وكثيراً ما كان يسخر من الغنى الشحيح .



مر زمن طويل لم أرفيه وجه صاحبي هذا ولم تسمع فيه أذني صخبه على الدنيا ، وأنيبته من أهلها ، وبنما كنت سائراً ذات يوم

في إحدى تلك المناهج الكبرى إذ وصل إلى صوت استوقفني
فإذا بصاحب الصوت هو « أنجل » ييسم لي ، ويمد إلى يده
وكنت أكاد أنكر صاحبي القديم لأنه أصبح على غير ما كان عليه
من صورة ومسوح .



أصبح أنيق الثياب بعد أن كان رثها . أصبح عطر الرائحة
نظيفاً . أصبح متخماً بالذهب . أصبح مترفاً بالخلي . أصبح وجهه
مضيئاً بعد ظلمة . أصبح صوته مليئاً بعد تهديج . أصبح « أنجل »
غير ما ألفت ، وأصبح « أنجل » غير ما عرفت . حياني باسم ،
وصالحنى وثيقاً ، وكلني متلطفاً رقيقاً ، وكل ذلك وأنا أنظر إليه ما بين
تحديق وترنيق ، وكأني كنت مذهولاً من مظهر للرغد والنعمة
ما كنت أظن أن ألقى الرجل عليهما في يوم من الأيام .



ثم مضى « أنجل » في سبيله ، ومضيت أنا الآخر في سبيلي
أفكر في أمر هذا الانقلاب الغريب حتى لقيت رجلاً يعرفه
خادشته في أمر ما رأيت فقص على الأمر وفسر لي اللغز :
ذلك أنه كان « لأنجل » عم بخيل جمع مالاً كثيراً ولم يستمتع

به فى شىء ولم يكن له وارث غير « انجل » فمات العم وأحيا موته
ذلك الذى كان بالأمس حيا ميتا .

عندئذ مر بخاطرى شىء مما يقوله الاشتراكىون فى المال
ومخلفى الثروات والأموال . وعندئذ فهمت السرف فى نعمة صاحبي .
وعندئذ تجلت لى معنى تلك الابتسامة التى لقينى بها فى حاله
الجديد . ورأيت فى صورتها المتصلة بهيكله النحيف ، ووجهه
العظمى ، ابتسامة الموت الساخر ممن لغيرهم يجمعون . وعندئذ
قدرت معنى الأثر الإسلامى القائل « ينادى مناد كل ليلة فيقول
اللهم اجعل لمنفق خلفا . ولمسك تلفا » ثم ترحمت على من قال
وان أشد الناس فى الحشر حسرة

لمورث مال غيره وهو كاسبه

الغاهرة فى ٢٥ من ابريل سنة ١٩٢٤

عائلة

الدار فى فىنا . فى الحى العاشر ، وهو حى تتعدد فىه المعامل وفىه مدرسة للمهندسة الصناعية ، وفىه يسكن اكتر من يعاشون بعرق الجبين

قصدت الى هذا الحى لالحق تلميذا من أهلى فى تلك المدرسة فسرت فى بعض سبله وطفقت مع نفر من شبابنا الموفق فى بعض نواحيه لاختير مسكنا للطالب الذى أتعهد بعض شؤونه واهتدينا أخيرا إلى الدار .

الدار كبيرة ذات طبقات خمس . وفى كل طبقة سبعة أقسام والعائلة التى رغبتا فى استئجار غرفة عندها تسكن الطابق الرابع . وفى ذلك القسم الذى تسكنه يجد الداخل بهوا صغيرا تشغله أدوات لمعالجة الطعام . ويجد عن يساره غرفة صغيرة فيها سرير من خشب ، وخزانة ملابس ومنضدة ، وبعض مقاعد . ويجد عن يمينه غرفة أخرى أكبر من الأولى فيها سريران كبيران وبجانبهما سرير صغير . وفى إحدى زوايا تلك الغرفة معزف (بيانو) ، وفى زاوية أخرى خزانة للملابس . وحوائط

الغرف مغطاة بالورق المزركش وأرضها من خشب مصقول ناعم، وفي السقف ثريات جميلة للكهرباء. تلك هي الدار وأثاثها، أما ساكنوها فعامل خباز يناهز الخمسين من العمر وزوجته وولدهما الطفل (ماركس) وهو في نحو الثانية عشرة وكلهم (وولف). دخلنا تلك الدار قبيل الظهر وكنا أربعة فوجدنا الرجل مشمراً مجدداً في تنظيفها. وبعد تبادل التحية سأله أحدنا أهنا غرفة لطالب؟ فقال نعم وفتح باب الغرفة الصغيرة فتفقدنا أثاثها. ثم سأله سائلنا وما أجر تلك الغرفة؟ قال الرجل علم ذلك عند ربة الدار وهي الآن في عملها وستعود حول الساعة السابعة. فقال قائلاً أولست رب الدار؟ وقد يكون عندك نبأ ذلك! فاجاب نعم ولكن هذا من شأن السيدة ففضلوا بالعودة ريثما تعود وبينكم وبينها يكون الحساب.

نزلنا على أن نرجع وقلت في نفسي إن في هذه الطبقات الفقيرة من يذكر حكمة الانجيل «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ثم ذهبنا إلى حيث صرفنا وقتنا وعدنا في الموعد المضروب. طرقتنا الباب ففتحته لنا سيدة تماثل زوجها في العمر ترتدى بزة بسيطة نظيفة. تم عن فقر وصبر. ولما دخلنا الدار انعمرت أسماعنا

فى جو من التوقيع والنغم فنظر احدنا وقال إنه طفل صغير يعزف فتوجهت أنظارنا حيث الغرفة التى تتدفق منها الموسيقى تدفقاً وكان بابها موارباً قليلاً ففطنت السيدة الى دهشنا ودعتنا لندخل تلك الغرفة . وهناك وجدنا الشيخ الخباز يجلس على حافة السرير الصغير ، وفتاة وفتى من الجار الجنب يجلسان على حافة السرير الآخر ، وبين يدي الفتى آلة موسيقية شبيهة بالعود ، أما الطفل فكان أمام البيانو يدق بأنامله الماهرة الدقيقة ويرافقه الفتى على الآلة الأخرى والفتاة كانت تشترك معهما بصوتها انشاداً . لم يكن لنا فى تلك الغرفة مكان لنجلس ، فوقفنا ووقف الشيخ معنا وضاق المكان بنا وبما فيه من أثاث . سألتنى ربة الدار عما إذا كان لنا رغبة فى سماع شىء معين . فطلبت لحناً من تأليف الموسيقى (اشتروس) . فأخذ الغلام يعزف بحذق ماطلبت . وكان الشيخ أبوه ذو القميص الأزرق واللباس المرقوع يرمقه بنظر العاطف الآمل وأمه فى زاوية تحيطه بجنانها وغبطتها . ولحت لباس الصبي فوجدته ممزقاً رثاً . طأطأت رأسى إجلالاً لأنى كنت أسمع من دقات الصبي أنشودة الفقر والجد والشرف ، ونظرت إلى من حولى من الرفاق ليستوحوا من تلك الحياة موعظة .

ولما انتهى الغلام من توقعه بين إعجابنا صفقت له مع رفاق
وهنأت به أمه وأباه . ثم دعوت السيدة لتنتقل معنا الى الغرفة
الثانية لتفاوض فيما جئنا من أجله . وهناك قدمت الحديث
بكلمة فى الموسيقى وفى مستقبل ذلك الموسيقى الصغير وإذ ذاك
قالت السيدة بشئ من السذاجة والألم . . . « لقد قال لى الأستاذ
الموسيقى « ماير » عامى صبيك فقد يصير رجلاً عظيم الشأن
فى الموسيقى شبيه « بموزار » ولكن عملى وعمل زوجى ودخل
الغرفة التى أوجرها لا يبقى لنا من المال ما نربى به نبوغ الولد »
تأثرت وتذكرت أن النبوغ طالما نبت فى أمثال هذه العائلة
التي شعرت فى جوها بالفضيلة والصبر والقناعة وفهم الحياة
والاحتياى الشريف على التمتع بما فى العيش من جمال . تذكرت
من رجال الغرييين « روسو » و « كنت » وتذكرت « رينان » .
ثم قلت فى نفسى عائلة تطلب اليسير من المال فلا تجده
تكوين نبوغ مرتجى ، وعائلة تصرف الكثير من المال على ولد
فيكون من الضالين . حارت الأفهام فى تقسيم الحظوظ . الحكمة
يفعل الله ذلك ؟ ! !

ضيق وضجر

شئ يوقر الصدور فلا تتسع الصدور لما ينعش من هواء .
شدة تقرب بين ثنايا الجبين وتخفى في غورها اشراق الجبين .
نقطة سوداء في الأفق يرعاها البصر الكليل ، ولا يحدد
عن مرآها البصر الكليل .

عروة تصل بين الحاجبين ، وعقدة تضرب على الشفتين
الصامتين .

سداة تلتقي في الأذن ، فلا تسمع الأذن عبارة تسلية أو كلمة عزاء .
سيال يسرى في الأعصاب فيخدر الجسم عامل القوة
وعامل النشاط .



ومع ذلك فقد تكون نسمات الليل نقية باردة ولكنها تمر
الى الصدور دون أن تحس الصدور ببردها وسلامها .

ومع ذلك فقد تكون الجباه ملساء ينعكس عن لمعانها نور
الله ورضاه ، ولكنها تخفى النور وتبدى الغضب .

ومع ذلك فقد تكون في الفضاء شمس وأقمار وأضواء
متلائة ولكن العين لا تقع إلا على النقطة السوداء .

ومع ذلك فقد تسيل البسات وتنتقل من شفة الى شفة ،
كما ينتقل الطير من زهرة الى زهرة ، ولكن البسات لا تقع
على بعض الشفاه .

ومع ذلك فقد يحمل الهواء ألحاناً عذبة ، ونغمات شجية ، ولكنه
لا يحمله الى بعض الآذان .

ومع ذلك فقد تكون مادة الأعصاب سليمة لم تأكلها
السنون ، وتعاقب الأوصاب والذات ، لكنها لا تقوى على
الحركة ولا تستمرىء للنشاط طعاماً .

تلك هي صورة الضجر . وذلك هو شأن الضجرين .



وكم من مرة يحاور الضاجر نفسه في أمر ذلك الضيق وفي
بيته رغيف يأكله فلا يشكو جوعاً ، وفي حقيقته كساء يرتديه
فلا يخاف عرياً ، وتحت سماء الله سقف يظله فلا يخشى قلة
المأوى ، وعلى أرض الله فراش وثير يتقلب عليه إذا أوى فلا
يخاف خشونة وبأساً .

وكم من مرة يقول : أى سم جرى في دمي فكان مصدراً
لذلك الضجر ؟

وأى غبار يختلط بالهواء فيصير الى صدرى فيجبس عنى
الهواء رطباً بليلاً ؟

وأى كثافة تختلط بالأضواء فلا تشف عن لآلائها وبهائها ؟
وأى سحرة تمسخ تلك الوجوه أمامى فتحول الى أشكال
القردة الهازلة ؟

وأى سحرة تلون تلك الوجوه بالأحقاد القائمة ؟



أف أف يارباه . . . أهو دم فاسد يجرى فى عروقى فيفسد
على هذا الوجود ؟ أم هى مواد حللها الفساد فاغتذى الجسم منها
فلا أرى فى الكون إلا فساداً ؟ أم هى الحياة الاجتماعية قد اعتلت
واختلت ، وأحوال النفوس قد فسدت ؟

أف أف . . . لقد فسد جو الحياة الاجتماعية فأصبحت
أكثر النفوس لا تتنفس إلا ضيقاً وضجراً . فمتى يستحيل الضيق
فرجا ينفث عن الصدور ويظهر الجو المسموم ؟

الفاهرة فى ١٣ من يونيو سنة ١٩٢٤

لذكرى الأديب^(١)

... وفي الليل تتألق نجوم في السماء ، وعلى الغصون زهور
تبسم ، وعلى الصدور لآلئ تداعب النور ، وفي القصة وحى
ودرر بين أصابع الأديب ..



ويسألون ما الأدب ؟ ويسألون من الأديب ؟ ..
الأدب عالم معنوى تتغذى منه العواطف الرقيقة ، والأفهام
الدقيقة ، بل هو معراج ترقى به النفس الى السماء لتشعر بالجمال ،
وتعقل الكمال .

والأديب إنسان يعلم كيف يتحدث الى النجوم المتألقة ،
وكيف يخاطب الغصون المياسة والزهور ، وكيف يجعل من صرير
القلم نغماً شجياً .

يكدح ويكد ، وقد يسهر الليل وراء لفظ من الألفاظ ، بل
قل وراء درة ليسكن فيها المعنى الطريف .. بل وراء أحرف
إذا هي امتزجت فكأنما هي أوتار تسمعك صوت المعاني عالياً
رناناً . بل وراء قبس من نور يضيء حول الخفى المستور في زوايا

(١) كتبت لذكرى المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى

النفوس ، فتراه واضحاً جلياً . . بل عن صور من الفزع والجزع
والغبطة والهناء ، ليرمز بها لمعانى الفزع والجزع والغبطة والهناء . .



وبينما يكون فى مجالس الناس إذ يقص القصاصون ،
ويتحدث المتحدثون ، ويتسامر المتسامرون ، فتنظر فى وجهه ،
فترى حدقيه كأنهما اتجهتا الى عالم آخر . وكثيراً ما تطير نفسه
الى حيث تناجى الملائكة ، الى حيث تتخاصر المعانى والكلم .

وبينما قوم يلهون فى مآكلهم ومشاربهم ، ومتاجرهم ، وترهاتهم ،
ودسائسهم ، يلهو الأديب بما يهبط عليه من عالم البيان ،
وما يستوحيه من عالم السحر الحلال .

وبينما قوم يعيشون بجسومهم ونفوسهم على الأرض وحول
المادة ، يعيش الأديب بنفسه فى السماء وحول ما فى السماء . .
وطالما تحول ذهنه المكدود واكسير دمه وخلاصة عصبه الى
تلك السطور التى تقرأ ونها وتقولون انه يكسب منها ثناء ، أو
ملاً . ولكن كل ما يكسبه الأديب من مادة يتحول عنده
معنى وأدباً ، تتنفسون من نسماته ، وتتنسمون من شذاه .

يعيش الأديب من العمر ما شاء الله أن يعيش ، ولكنه
يعيش في الفن وللفن . وتصادفه في حياته آلام وأوصاب ، ومع
ذلك تمر عليه ساعة هناء لا يعدلها عنده أى متاع وهناء . ساعة
يتزوج المعنى من لفظ ، ساعة يحضر هذا الزفاف المحمود .



يعيش الأديب في أدبه ثم يأتيه الموت . . . الموت . . .
حينئذ ينضب الحوض الزلال الذى كنتم منه تترشفون . حينئذ
يسكت البلب الذى كنتم بأغاريده تطربون . حينئذ لا تجد
الطيور من كان يداعبها في غدواتها وروحاتها . حينئذ لا تجد
النجوم من كان يسامرها في داراتها وعوالمها . حينئذ لا تجد الحسان
من كان يعلم كيف يناجى الحسان ويفهم قدر الحسن والغزل .
حينئذ تفقد المعانى من كان يدق لها الطبول لتتخاصر مع
الألفاظ ، وتسألون أين الذى كان يخاطب النصوص إذا ماست ،
والفاتنات إذا دلن ، ويحرك الأفئدة العاطفة ، ويطمئن القلوب
الواجفة . . . وتسألون أين الذى كان يحرق البخور ويعطر الهواء ؟؟
إنه الآن في الثرى ، وتحت التراب



يا صاحب الجبين الندى ، والذهن المكدود : أنك تموت
بعد الحياة ، وتسكت بعد الخطاب ، وأنتك تجد الملائكة تهىء
لك عقوداً مما ثقبته من لآلىءٍ ودرر . فإذا كان فى عقد منها خرزة
صغيرة من خزف فاعلم أنها دليل هذا اليوم الذى هبطت فيه
من عالم الأدب الرفيع فشاركت الناس لحظة فى ترهاتهم وأباطيلهم .
على قبر الأديب تحية وسلام .

ليون (فرنسا) فى ١٨ من أغسطس سنة ١٩٣٠

فى الغابة

يوم الأحد . . . وقد أشرقت الشمس ، واعتدل الجو ،
وأمسكت السماء صيها بعد أن عبست وأمطرت مدراراً فى أيام
هذا الأسبوع الماضية .

خرجت من الفندق قاصداً الغابة القريبة فاتجهت سبيلاً
مطروقاً ثم عرجت فى سبيل آخر إذ سمعت ثمت نغماً
موسيقياً مطرباً .

ولما بلغت مفراً للطرقات ألفيت هناك رجلاً مبتور الساق
يستند على شجرة وبين يديه آلة من آلات العزف يقع عليها
ذلك النغم الشجى . فى مثل هذا اليوم الصحو يحج القوم إلى
الغابات من أقصى المدينة والضواحي المجاورة نسوة ورجالاً ،
وفتياناً وشباباً ، وأطفالاً ، ورضعاً . وفى مثل ذلك اليوم يقضى الناس
شطراً عظيماً من نهارهم فى حضن الطبيعة بين لفائف الأشجار
ليتنفسوا من نسيمها المجدد للدماء . وفى مثل هذا اليوم يكسب
ذلك المنكود ما يحود به ذوو الشفقة وأهل الإحسان من هؤلاء
المستريضين .

ذهبت كذلك لكى أمتع نفسى بما ليس فى بلادنا من مناظر
تلك الربى وتلك الغابات ، ثم اتخذت مكاناً غير بعيد من الموسيقى
وغير بعيد من الطرقات التى يمر بها الرأحون والغادون . فمن أم
وبنيها ، ومن زوج وزوجها ، ومن عادة هيفاء تتأبط ذراع فتى
مليح ، وكثير من هؤلاء المستريضين يحملون أدوات يستخدمونها
لطعامهم وشرابهم ولهوهم . وكأن هذه الطبيعة تسع فى حيزها تلك
المظاهر المختلفة التى يظهر الناس بها : فمن مظهر للبر إذ تجدد أما
رءوما تتمتع صغارها بحاجاتهم من الرياضة واللعب ، ومن شيخ
وشیخة يشتركان معاً بين أحضان الطبيعة فى جميل الذكريات
وفى تحية الوداع لحياتهما الآفلة ، ومن شاب وشابة يشتركان فى
المتاع بسكرة الحب والنسيب ، ومن فاجر وفاجرة يعتزلان ناحية
تحت خمائل الأشجار ويتفننان فى أساليب الخلاعة والفجور .

وكان الكل لا يتناجون إلا همساً فى حضن تلك الغابة
حيث خيل الى أن صفوف الأشجار الباسقات كأنها حراس
شداد وقفت خاشعة إجلالاً لهذه الطبيعة الواسعة الرحمة التى
تفسح بين أحضانها مجالا للبر والفجور .

أن الطبيعة وسعت كثيراً ، ورحمة الله وسعت كل شىء ،

ولكن عواطف الإنسان وعقله قيدتها تقاليد وشؤون، فما أضيق صدر الإنسان إزاء السعة الطبيعية والإلهية .

فكرت ملياً في معاني الحرية وأخذت أنظر بين فهم الغربيين وفهم الشرقيين في تقدير الحياة ، ثم اعتراني تعب فشعرت بحاجة الجسم الى الراحة فألقيت به على تلك الأرض المفروشة بالعشب الأخضر وبما تساقط عليها من أوراق الشجر اليابسة وحسبت أن جسمي قد حن الى أصله في الثرى فوضعت صدرى على أديم الأرض ، ثم بسطت ذراعى كأني أضم بهما تلك الأم الروم ، وكأني كنت أقول إيه يا أمنا الأرض أن دمي ولحمي وعظمي وعصبي لفي حاجة الى نفثة من تلك النفثات المنعشة التي تملئين بها ذراتك فتستحيل قوةً وحياةً . ثم عدت فجلست وحدت الى ما كان يبدو من السحب من خلال تلك الظلال الوارفة فوجدتها تتلبد رويداً رويداً وأخذ القوم حينئذ يهثثون شؤونهم ليعودوا الى حيث يلتجئون من غضب السماء إذا هي أمطرت ، وأخذ الموسيقى المبتور يردد نغمات أخيرة خافتة خلتها أنشودة الوداع لذلك الصفاء الذي تمتعت الطبيعة به القوم حيناً قليلاً . . . ثم تساقط الرذاذ . . . ثم تحول مدراراً .

ولقد كنت آخر من آّب الى مأواه فى الفندق الذى أسكنه.
ولما بلغتة خلعت عنى معطفى المبلل ودخلت بهو المكان فوجدت
القوم ما بين عازف وراقص وسامر وصاح فأيقنت أنى فى قوم
يعلمون كيف يحيون حياة طيبة ويستفيدون من أيام راحتهم
سواء صحت الطبيعة أم غضبت :

حيا الله الحياة وحيا الله قومًا يقدرّون معنى الحياة .

ميدلينج هتر برل بالمتسا فى ٧ من سبتمبر سنة ١٩٢٤

دار ودار

أعرف في بعض مناهج القاهرة ، غير بعيد من احدى دور الحكومة ، منزلاً صغيراً محيلاً شاحب اللون . ومكانته بين المنازل الفخمة التي تحيط به وتواجهه مكانة الرجل الهزيل الرث بين قوم ذوى نضرة وبهاء ، فلا يلفت النظر حالهم بمقدار ما تلفته رثاثة ذلك المسكين .



لقد سكن هذا المنزل صديق لى كان فيما مضى متوسط الحال . ولما فتح الله عليه وشال فى جو المراتب تركه إلى منزل آخر كبير ، منبسط العرض منبعج البطن ، واضح اللون ، نقى البشرة .



لعل صديقى لم يخالف سنة المألوف فأوسع على نفسه إذ أفاض الله عليه الخير وخلقى المسكن القديم لمن يتناسب حاله مع حاله من تواضع وإقلال . ولعل ذلك المنزل لم يطرأ عليه منذ عرفته شىء يذكر ، لا فى صورته ، ولا فى شأن أهليه ، ولا فى أمر أصحابه فلم يُصَبْ بتر ، أو شق ، أو تحويل ، أو تغيير ، حتى

يحسن قوامه ويحمل منظره . ولعل كل ما أصيب به هذا المنزل منذ عرفته كان مرض الرطوبة ، فكان يعالج باستبدال أحجار غير التي بليت . وكان لا يغادره ساكن متواضع إلا ليحل محله ساكن يشبهه تواضعاً . وكان لا يبيعه مالك مقل إلا ليشتريه مالك مقل . ومجمل القول في تاريخ ذلك البيت أنه ذو بقاء طويل متشابه يحيط به الذكر الخامل .



لكن على مقربة منه قصر نغم هو الآن دار لإحدى مصالح الحكومة . وأذكر أنني عرفته من نحو ربع قرن إذ أتيت لأول مرة من الريف إلى مدينة القاهرة ، ودخلته مع صديق طفل يتصل بوشائج القربى مع خادمة من خادمت ذلك القصر الذي كان يسكنه وقتئذ أهل العز والإقبال .

أجلسنا في غرفة صغيرة ، وكان ذلك أول عهدي بنور الكهرباء فأخذت أعبت وألعب كما يعبت الطفل الريفى ، وأتسلى بإصدار ذلك النور فأدير الزر الكهربائى وأنظر وأدقق حتى جاءت قرية زميل الصغير وأخذت قسطها من مسامرتة ومداعبتة ثم انصرفت عنا وانصرفنا إلى حيث كنا نبيت .



مرت أيام وأيام ، وللأيام أدوات ومعاول تعمل بها في الكون إصلاحاً وإفساداً ، وتشيداً وهدماً . فهدمت في تلك الدار مظاهر العز والإقبال وورثها غير أهلها الأولين . ثم تقدم العهد فوصل إليها الخراب فانغبرت وأصبحت لا تشرق بما كانت تشرق به من بهجة وسعادة . ثم مرت أيام تلو أخرى ، فأغلقت أبوابها وخزائنها على ما كان فيها من ريش وأثاث . ثم مرت أيام تلو أخرى ففتحت تلك الخزائن وعرضت طنائفها وزراييبها وانساب في غرفاتها المساومون والدالون ثم مرت أيام تلو أخرى ، فابتاعها الحكومة ودخل فيها المهندسون والبنائون وشقوا في جوانبها ، وبدلوا في أوضاعها . ثم مرت أيام تلو أخرى ، فسكنها مستخدمو الدولة من العمال والكتاب والحجاب وأصبحت موضعاً تطؤه أقدام الخاصة والعامة وكلهم يرى فيه له حقاً .

ومجمل القول أن هذه الدار تغيرت من حيث معالمها ، وتغيرت من حيث أحوال أصحابها ! وتغيرت من حيث زوارها وقاصدوها ، وفعلت بها الغير ما لم تفعله بالدار الضئيلة الأولى .



سبحان من لا يتغير . . .

نظرة إلى هاتين الدارين المتجاورتين تذكرك أن للمجد أجلاً
وإن طال وإخال أن الرفيع الذى دل ثم ذل ، واشمخر ثم اندثر ،
وشال به الإقبال ، ثم حط به الإقلال ، قد يحسد المتواضع الذى
يبقى على حاله طوال الأيام صابراً ولربه شاكراً .

الفاهرة ٢٠ من يونيو سنة ١٩٢٥

حياة حول موت

فى تلك المقابر ، القريية من قرى مصر ، كثيراً ما تجد قبوراً
خرية متهدمة الأركان ، متخلخلة اللبنا ، مشغورة الجوانب ،
كأنها ترمز الى الموت فى أبشع صوره من تهدم وتخلخل وتبعثر .
وقد تجد أشجاراً من البق أو الجميز غير مشذبة الفروع ،
ولا متناسبة الوضع ، تظل هناك صهريجاً من الماء كأنه رمز
للأسف المقيم الدامع .

وان تلك الألوان البيضاء المغبرة ، والألوان الطينية القائمة ،
التي تظهر بها هذه المقابر ، ليست من الجمال فى شىء ، فلا توحى
ليك بلغة الألوان والتناسب أن للموت عظة ورهبة وجلالاً .



لست أريد بما أسلفت أن أرسم لك صورة لتلك المقابر
الكرينة ، ولا أن أمثل لك الموت فى شكله مزدرى مهاناً ، لكنى
ألفتك الى أن حول تلك القبور كثيراً ما تجد حقولاً يانعة بالنبات
الغض ، وفيها طيور مغردة فرحة ، وتجوب فى أنحائها حشرات
مرحة ، وفيها صفحة للحياة واضحة .



وهناك في حقل من هذه الحقول الحية ترى إنساناً حياً يعمل في الأرض ، فيستندب البت ، ويعين الغصن النامي في وجهته الى النور والسماء ، وينعش الزهرة للابتسام ، ويتعهد ما يبدو على أديم هذه الأرض من مظاهر الوجود .

وإني لأسائل نفسي عن حال هذا الانسان بل أسألكم عن قيمة تلك الحياة البشرية التي تكد وتكد حتى وهى قاب قوسين من تلك المقبرة .



ليست حياة الانسان أن يقنع بما يشترك فيه مع آخر الكائنات من غذاء ، ونمو ، وسعى ، وتناسل . لكن الحياة لا تكون حياة إنسانية إلا إذا تيقن الفكر البشرى بمنزلته من عالم التفكير .

يقول بسكال : « خطر أن تظهر للمرء أنه شبيه بالأنعام من غير أن تظهر له عظمته ، وإنه لخطر كذلك أن تظهر له عظمته من غير أن تظهر له حقارته ، وأخطر من هذا وذاك أن تتركه في عماء من عظمته وحقارته . ولكن من المصلحة أن تظهرهما

له جميعاً » فهل يعلم هذا الفلاح حقاً قيمته من هذا الوجود . ؟
وهل يعلم حقاً نصيبه من عظمة أو مهانة ، وما له فى هذه الأرض
من مكانة وهل ترج حياته حقاً فى عداد الحيات الطيبات ؟
وهل يحشر موته حقاً فى زمرة الموت المستطاب ؟
كما أن بعض الموت قد يصير ينبوعاً لعيش رغد منير فان
بعض العيش يكاد يكون موتاً مظالمًا كريهاً .



تعس من يعيش عيشاً لا خير فيه ، وتعس من يموت موتاً
لا خير فيه !!
وما أقسى حياة تلوح كأنها الحياة تعمل وتكدح ... ولكن ...
قاب قوسين من هذه المقبرة .

القاهرة فى ٢٧ من يونيو سنة ١٩٢٥

طيف زائر

زارت دارنا منذ أيام عجوز انقطعت بين دارنا وبينها أسباب
التزاور منذ عهد بعيد يرجع إلى زمن طفولتي ، إذ كنا في بلد
غير هذا البلد ، وفي دار غير هذا الدار ، وفي محيط غير هذا المحيط
وكانت دنيا حينئذ في أخلاقها وفي شئونها غير دنيا هذه الأيام .
ولست أدري أى ظروف هيأها القضاء لهذه الشيخة الفانية
جاءت إلى مدينة القاهرة ثم علمت أين نسكن ، وأين نكون
من غير الدهر وأين نكون من أمور الحياة .

لم يعرف زائرتنا صغار المنزل الذين ولدوا تحت سماء غير السماء
التي أظلت طوال الأيام تلك الزائرة ، لكن لم ينكرها عجايز البيت
رغم ما اتصل بسخنهم من توالى السنين .

ولقد توخيت أن أكون بحيث لا يعطل مجلسي ما قد ينشأ
بين ممثلات الماضي من حوار ، وبحيث أستطيع أن أسمعه أملاً
في أن أجد درة تكون في طيات تلك الأحاديث المتهدجة ، وربما
يعثر المرء على موعظة بالغة تلقيها حاملات الليالي والأعوام .

بقيت طويلاً على هذا الحال أسمع من القول ما يتصل
بعضه بذكريات حياتي الماضية وخيل إلى أن كل ذكرى

كانت تنقلني بأسرع من لمح البصر ، فتقطع بي شوطاً بعيداً
إلى حيث أحل بالماضى الذى أسكن اليه ، وأسعد لحظة بصورته
البسامة الهادئة .

ولما حانت ساعة نزولى من الدار ارتديت ملابسى وخرجت
وفى أذنى صدى لحديث العجائز ، ثم اتخذت سبيلى المعتاد فى
حارة ضيقة من حارات الحى الذى أسكن فيه وهناك لقيت شيخاً
معمماً بعمامة حمراء ، مرتدياً جلباباً أزرق ، ذا حية لم يكمل بياضها
ولم يغادرها قليل السواد ذا وجه فيه علامات الصبر والأسى ،
ييده أصناج يدق بها دقاً موسيقياً لطيفاً على السمع ، وينشد
ضروباً من الأناشيد القديمة التى تخرج من صدره أكثر أنغامها
وأقلها يخرج من حنجرة تستبقي شيئاً من عنفوان الشباب وورثته .



وقفت من الحارة فى موضع أسمع فيه صوت الشيخ الشادى
وأتابع بنظرى حركاته ، وأوطن سمعى لما يحمله الهواء من أغانيه
ونبراته التى كنت إخالها لشبح من أشباح الماضى البعيد . ثم
انعطف الرجل فى منعطف ، فتوارى عن بصرى ، واتقطع صوته
عن سمعى ، ولم يبق منه الا الصدى الضئيل .

حينئذ مضيت ولكن تذكرت أن الفرد لا تكمل شخصيته
إلا إذا اتصلت حياته بما يربطها من الماضي بذكريات ، وأن
الأمم لا تكمل قوميتها إلا بما يذكرها بالغابر ومشخصاته البائدة
وما أتعس امرأ يهون عليه ماضيه ، وما أشق أمة لا تستيق من
تاريخها طيفاً يزور .

الفاخرة في ١١ من يوليو سنة ١٩٢٥

حول ما لله

أن بعض بيوت الله من مساجد ، ومعابد ، وكنائس ،
بجدها نخمة البناء ، عالية الأركان ، فيها الزرابي المبوثة ، والآنية
النفيسة ، والتحف الثمينة . وفيها مظاهر الفن والزخرف ، وما
تشبهه نفوس الطامعين . وقد يؤم تلك البيوت قوم من الناس
وهم في مظاهر وجاهتهم وأبهتهم فتنتظرهم على أبوابها السيارات
الفاخرة والخيول المطهمة .

وتجد في بعض الحقول ، وعلى حافة بعض النهرات التي
تجرى في هذا الوادي ، مسطحاً صغيراً من الأرض فرشت عليه
أعشاب وحشائش مجففة ، وله شبه سياج من غصون الأشجار
وفروعها . وهناك ، في وقت الأصيل قد تجد فئة من عمال الحقول
يستقبلون قبلة الإسلام ويصلون لله في بساطة ، ويسجدون
لجلاله في خشوع ، ويدكرون اسمه لا في عنت القول ، ولا في
تكلف البيان .

عند ما أتمثل صورة تلك المعابد الضخمة وبعض زوارها
وروادها ، ثم أتمثل صورة ذلك المصلي الذي يهينه الفلاحون في

ناحية من حقل ، أو على مقربة من غدير أتذكر بعض ما يروى
من آثار اليونان الأقدمين من أمر الزلفى الى الله ونية المتزلفين .



يذكر « فرفريوس » أن أحد سراً « تساليا » قصد الى معابد
« دلفوس » ليتقرب الى ربه ومما أعده لذلك مائة من الثيران
مذهبة القرون .

وبينما كان هذا الغنى عند المعبد بمظاهر جبروته ووجاهته
إذ أتى رجل فقير من أهل « هرميون » فاقرب من المذبح وأخرج
من جعبته الحقيرة قبضة من الدقيق وألقى بها في لهب النار المتوقدة
عند المعبد . عندئذ أعلنت السادة ، التي كان ينتظر الناس قولها
في أى القرايين كان عند الله أكرم ، أن ربها قد تقبل بقبول
حسن قبضة الدقيق من فقير « هرميون » ولم يكن ذلك نصيب
القرايين التي ساقها سرى « تساليا » .



ولقد يتخذ أهل الأخلاق من مثل هذه القصة بعض أدلتهم
في الحكم على قيمة الأعمال بما يتصل بها من النيات . فذلك
الذى كان يتزلف الى ربه بمظاهر كبريائه دون أن تخلص نفسه

من عوامل المفاخرة كان أبعد من الله من ذلك الذى تقدم له بالقليل مخلصاً . وأحسب أن هذا العامل القروى الذى يفرغ من عمله فيذكر ربه وحيداً منفرداً لهو أدنى اليه من هؤلاء الذين يقصدون إلى بيوته العالية ليعلنوا للناس أنهم تقاة وليظروا للناس أنهم من الصالحين . وأخال أن كثيراً من هؤلاء الذين يتظاهرون بغيرتهم على دين الله وعلى ما لله فيصيحون، ويهولون، وينادون لنجدته، ويحفزون لنصرته، هم أبعد من الله من شيخ مخلص يرشد في السرو ويصلح في السكون .



أن لله صدق النفوس ، وأنه لفي غنى عن المساجد الفخمة والكنائس الضخمة ، وأنه لفي غنى عما يساق اليه من ابتهالات منمقة ، وصلوات غير صادقة ، وأنه لفي غنى عن ضجة تقام كأنها لوجهه أو كأنها لنصرة دينه ما لم يلبسها حسن النية وإخلاص الضمير .

رحاب العلم ورحاب الدين

منذ بضعة أيام نقلت لنا الصحف الأمريكية أن في إحدى ولاياتها صراعاً جديلاً قد احتدم بين طائفتين إحداهما تنصر مبادئ الدين والأخرى تدعو لمبادئ العلم وتنصر مذهب أهل النشوء والارتقاء. ومنذ أيام تقرأ في صحف بلادنا مقالات بعضها من مؤلف كتاب «الاسلام وأصول الحكم» وأنصاره يذهبون إلى أن دين الاسلام لا شأن له بمسائل الخلافة ، ولا بصورة خاصة من صور الحكم ، والبعض الآخريكتبها طائفة من رجال الدين ينكرون على المؤلف ما ذهب اليه ويدعون إلى اخراجه من حظيرتهم لأنه فكر على أسلوب غير أسلوبهم ونظر في بعض المسائل على وجه غير الذي به ينظرون .



ولقد بين لنا التاريخ أن كل عصر من العصور لا يخلو من جدل عنيف بين رجال طائفة بعينها . فقديمًا تجادل رجال الدين فيما بينهم ، وقديمًا تجادل رجال العلم فيما بينهم ، وقديمًا نزع بعض رجال الدين إلى أن يخرجوا بعضاً آخر من حظيرتهم ، وقديمًا نزع

بعض رجال العلم ألا يعترفوا بعلم آخرين خالفوهم في رأيهم ونظروا
الى الأمور بغير نظرهم .

ولم يكن منشأ هذا الجدل العنيف الذى لم يخل منه عصر
ولم تتبرأ منه أمة إلا قصر الأنظار وضيق الصدور .

كأن الجامدين من أهل العلم أو من رجال الدين قد لا تصل
أبصارهم أحياناً إلى لآلاء تلك الحقيقة التى يتألق بها كل شىء
فى الوجود ، والتى تظهر أن طرائق الافهام تتحول . وكأن فى آذانهم
وقراً فلا يسمعون صدى المنطق السليم يردد أن رحاب الدين
الحق واسعة ، وأن رحاب العلم الحق واسعة ، وكأنهم يحسبون أن
القبالب التى صبوا فيها آراءهم حيناً من الدهر تظل على حالها رغم
كر الدهور ومر السنين .



إن من أهل الدين من يعرف لله تعالى أسماءه الحسنى فيصفونه
بالرحمة ويصفون رحمته بالسعة ، ولكنهم يحدون ألقها بمقياس
أبصارهم القصيرة . وإن أهل العلم ليعرفون أن حبل العلم ممدود
وأن مداه غير محدود ، ولكنهم قد يتعنتون أحياناً فلا يريدون
أن تسمو الأنظار الى رقبى ما هو محتمل .

ولو أنصف أهل الدين وأهل العلم جميعاً لرأوا أن للدين الصحيح وللعلم الصحيح رحاباً يستطيع أن يأوى إليها كل وارد وأن يلجأ إلى ميادينها كل قاصد من غير اصطدام أو زحام .

ألا أيها الجامدون لا تضيقوا رحاباً بسط الله جنباتها للواردين ولا تسدوا أبواباً فتحها الله للقاصدين .

الفاخرة في ١ من أغسطس سنة ١٩٢٥

الغيبة والبهتان

رذيلتان فاشيتان في الناس ترتكزان على أسوأ خلال البشر ،
وأكثر ما تعتمدان عليه : الجبن ، والحقد ، والحسد .

رذيلتان إحداهما مثلها مثل الوقح الذي لا يبالي أن يسترأمام
الغير ما به من مظاهر القحة والسماجة ، ولا يستحي أن يبرز
أمام الأنظار بما يلبسه من عيب ظاهر . والأخرى مثلها مثل
اللص الذي يتامس لنفسه من الظلمات مخبأ يسكن إليه بما سلب
وهناك يلتقي غنيمته ، ويدور يبصره فيما حوله من الخوف ، وتجحظ
عيناه من الحذر ، وكلما ذكر أنه سارق دق فؤاده فزعاً وفزعاً .
أما الرذيلة الأولى فهي رذيلة الغيبة : وهي أن تقول في
الناس من خلفهم ما يؤذيهم ولو كان حقاً .

وأما الثانية فهي رذيلة البهتان ، أو الاختلاق وذلك أن تقول
في الناس ما يؤذيهم وأنت تعلم أنك غير صادق فيما تقول .



للإنسان أن يستمتع بين من يعيش فيهم من الناس بحسن
السمعة ، وباحترامهم له ، وبعطفهم عليه ، وذلك لأن الإنسان

مدنى ومن طبيعة المدنية أن يعايش الإنسان بنى جنسه ويعنى بتقديرهم إياه ، وصلتهم به ، ورعايتهم له .

لكن لهذا الإنسان نزعة الفرد ، وحق الفرد ، وحرية الفرد ، وهو يريد أن ينعم بذلك الحق فى مدى واسع لا يفقد معه حقه المتصل بنتائج مدنيته من عطف ، وتقدير ، وصلة ، ورعاية .

على ذلك يكون من الخير وحسن التوفيق أن يحتفظ الإنسان بحقه الفردى فى الحرية وبحقه المدنى فى حسن الصلة بالناس .

وعلى ذلك أيضاً لا يكون من الخير فى شىء أن تسيء إلى أحد فى سمعة حسنة اكتسبها ، وليس من الخير فى شىء أن تحول عنه شعوراً عاماً تألف لحبه .

وليس من الخير أن تخلق النفرة بينه وبين بيئته أو تجعل التقاطع بينه وبين عشيرته ، وليس من الخير أن تحول بينه وبين إشراق وجوه تلقاه بتحية وابتسام .

إنك إن فعلت كنت مغتاباً وما كان الله ليرضى عمل المغتابين .



رب مغتاب يلبس مسعاه مسعى الأخيار ، ويتحلل المعاذير ليتشبه بأهل الحق ، فيقول إنى أظهر للناس عيباً فى أحدهم قد

خفى عليهم ، وأظهر للناس صورة ما كانوا ليعرفوها على وجهها الصحيح .

ولو أن هذا المغتاب يريد الخير صدقاً لاتخذ الوداد ، قبل المحاصمة والعناد . وأخذ بأسباب الإصلاح قبل أن يشهر العداوة والسلاح ، ولأسرله النصيحة فيما يرى من العيب قبل أن يفشيه جهراً وعلانية ، فلربما كان في افشاء العيب رذيلتان : رذيلة الاغتياب ، ورذيلة الافشاء .



أيها الناس ، لا تقولوا جهاراً على فلان ان شذ أو خرج لتؤذوه ، ولا تقولوا على فلان انه أساء لتضروه ، فانكم تبوءون باثم المغتاب ان كان ما تدعون صدقاً ، وتبوءون بجريرة المخلتق الاثم ان كان زوراً وبهتاناً .

حقوق الافراد

لعباد الله من الله حقوق يجب أن تصان . لهم حقوق أساسية هي الأصول لكل ما يتفرع عنها من حقوق ، وهي التي يترتب عليها كل ما يطالب به الإنسان من واجب .

لعباد الله من الله حق الحياة فواجب عليهم صيانتها وعدم العبث بها حتى تستخدم لما جعلت له من واجبات هذا الوجود .

ولعباد الله من الله أن يكونوا أحراراً في مظاهر عيشهم ومسعاهم ، وذلك لأن الذي يريد أن ينعم بهبة الحياة لا يستطيع أن يعمل حسبما تقتضيه شؤونها وظروفها إلا إذا كان حراً طليقاً لا يعطله عن أفعاله معطل ، ولا تقف عقبة في سبيل شعوره بأنه الفاعل لما يفعل ويريد ، وأنه المسئول عما يهم به ويفعله .

ولعباد الله من الله أن يكونوا أحراراً في إطلاق ملكاتهم المفكرة تسير في داراتها كما تسير في الفضاء الواسع تلك الشمس والأقمار لا تقيد في سيرها إلا بسبلها الخاصة من أساليب المنطق السليم ومناحي النظر المستقيم . ولتلك الملكات البشرية أن تتوغل ما استطاعت وما طاب لها التوغل في مسالك المنطق

والنظر . وما كان العقل لابن آدم إلا ليتعقل به ، ولم تكن له ملكات التفكير إلا لتؤدي وظيفتها من بحث وتفكير .



تلك هي حقوق الإنسان الأولية التي تستلزم واجباته الأولية فحقك الذي ترعاه من الحياة يدعو إلى تقديرك للواجب نحو الحياة وحقك الذي ترعاه في أن تكون حراً في سعيك يدعو إلى واجبك في تقدير حرية المسعى والعمل . وحقك في أن تعتقد وأنت حر ، وأن تفكر بحرية ، يقضى بواجبك في تقدير عقائد الغير وحرية الغير في التفكير .

تلك حقوق لا حد لها إلا حق الغير فيها ، وأن كل تضييع أو تقريط في تلك الحقوق أو في بعضها فهو تقريط في إنسانية الإنسان أو في بعض ما له من معنى هذه الإنسانية .

أشد ما يؤلم امرأاً يقدر حقوق الإنسان ، ويرعى حقوق الفرد أن يجد من قوانين الجماعات ، أو نزعات الحكومات ما يتعارض وتلك الحقوق فالقانون الذي يطول بحده القاسى فرداً يستخدم حقه الطبيعي في حرية الرأي ثم يحول بينه وبين الحق المدني في العمل والسعى فهو قانون يتنافى وأصول الحقوق الطبيعية .

وأن النزعة التي تنزع إليها الجماعات في تضيق ميدان التجاذب ،
والتألف ، والتسامح ، بينها وبين أفرادها هي نزعة قاسية لا تتفق
وتتقدم الإنسانية ورفق الأمم وإن النزعة التي تنزع إليها الحكومات
أحياناً في أن تبيع لنفسها ولأنصارها حرية التصرف والسعي
والعمل ثم تنكرها على خصومها هي نزعة قاسية هادمة لأقدس
الأصول في حقوق الأفراد ومصلحة الجماعات .

فيا أنصار الحق طالبوا بحق الإنسان حين تشعرون بخطر
يهدد حق الإنسان . ويا أشياع الحرية انشدوا الحرية ما شعرتم
أن الحرية الصالحة الصحيحة في خطر .

الجمود

للجامدين أذهان ليست كالأذهان ، ولهم قلوب ليست كالقلوب ، ولهم نفوس ليست كالنفوس .

فأذهانهم لا تمتد إلى ما يمتد إليه النظر الواسع ، ولا تنسجم حركاتها حيث تنسجم مقدماته وتتأبجه .

وقلوبهم لا تشعر بما تشعر به القلوب فلا تحس ألوان الجمال المتصلة بمظاهر الخلق ، ولا تتأثر بضروب الأحداث التي تختلف في هذا الوجود ، ولا تحقق آيات الله في السموات ، ولا تحقق آيات الله في الأرض ، ولا آياته المطوية في كرم العصور وعبر الدهور .

ونفوسهم محجبة وراء سجوف من السواد ، لا يصل إليها ضوء من الأنوار المتألثة في نواحي الكمال ، ولا تنبعث فيها حرارة الإيمان بالتقدم والخير ، ولا يستعر منها قبس لنار الهمة المتحفزة للأمام .



ان طبيعة الذكاء أن يتناول إلى شئون هذه الحياة ليحوزها بالفهم ، وينبسط إلى الأمور ليتصل بها بالمعرفة ، وطبيعة الجمود

أن ينقبض عن أشياء هذا الوجود وينصرف عنها . والجامدون
ينكمشون إلا عما ألفوه ، وينقبضون إلا عما ورثوه .

إن أظهر ما يمتاز به الإنسان عقله الذى يبحث به وشخصيته
الضاربة جذورها فى الماضى ، القائمة سيقانها فى الحال ، الممتدة
فروعها وغصونها للمآل .

فالبحت إذن هو من خواص العقل ، والانسحاق مما هو
حاصل إلى ما هو منتظر ركن من أركان الشخصية البشرية ، والعقل
والشخصية كلاهما ميزة ابن آدم . لكن الجامد يعطل عمل العقل ،
ويكبل نزعات الشخصية ، ويقص جناح التطلع ، وأكثر أعماله
وحركاته قد تتصل بالعادات ، والمألوفات ، والفرائز .

وعندى ان أهل الجمود هم أدنى إلى معانى الموت منهم الى معانى
الحياة الصحيحة : وذلك لأن شأن الحياة الصحيحة أن تظهر فيها
الحركة متصلة غير مقطوعة ، ومتشعبة غير مركزة ، وتتفاعل
مظاهر الحياة بعضها مع بعض على مدى واسع غير محدود .
لكن الجامدين لا يتصلون بالحياة إلا من بعض جهاتها ، ولا
يفسحون نفوسهم لأطرافها المترامية .



للجمود عصور يشتد فيها أمره ، وتقوى فيها زمره . وقد تكون تلك العصور هي عصور الجهالة والانحطاط ، وتغلغل طبائع الاستبداد ، ودنو الشعوب من الشيخوخة والمهرم .

وفي هذه العصور يكون مثل الجامدين مثل الطفل الذى قد يريد به أبواه خيراً فيسرعان ليحولاً بينه وبين غذاء فى عناصره سوء فيغضب الطفل ويصيح ويبكى ، وكذلك أهل الجمود فإنهم يفضبون ، ويهلعون ، ويجزعون عند ما يراد بهم الخير ، لأنهم قد لا يعقلون التمييز بين ما يضر وما ينفع .



لكن الأطفال تساس أحياناً وتتوخذ باللين ، وتقهر أحياناً وتتوخذ بالقسر . وفي عصور الاتعاش يجب على المجددين أن يعلموا كيف يساس أهل الجمود .

الجمود فى الأم شر وأذى فاثم ، فخاربوه إن وجدتموه .

الى الفتيات المبعوثات

... وكما أن الحاضر من الأيام يمثل لنا أحياناً صورة من صور الماضي فتكاد تحسبه الماضي دون أن يكونه ، كذلك قد تمر بوجه السماء المشرقة سحابة فتحسب أنك في فصل الغمام دون أن تكون فيه ، وكذلك قد تذرف العيون دموعاً رطبة ، وقد يتهدج الصوت بنبرات متقطعة فتحسبك محزوناً دون أن تكون كذلك حقاً .



تذكرنا الماضي البعيد حين ذهبنا إلى الثغر لنودع فتياتنا المبعوثات في سبيل العلم ، فثلث في خيالنا تلك الأيام إذ أرسلنا مع زملاء لنا في ذلك السبيل ، وشهدنا صورة من تلك الصور التي شاهدناها بالأمس من مظاهر الدعوات الخالصة ، والقبلات الطاهرة ، والوداع الشديد وسمعنا من الآباء مثل ما سمعنا بالأمس تلك الوصايا يزود بها الأبناء والأبناء مطرقون احتراماً ، وكأن رؤسهم تتخفض لما يلتقي فيها من ذهب ثمين ، وإن خلاصة ما شهدنا وسمعنا تنحصر في دائرة من المعاني لا تخرج عن معنى الايمان والشرف والوطن .



لم أنس من ذكريات الأمس البعيد شبح ذلك الشيخ الأسمر
النجيف يقدم عند الوداع لأحد أقربائه من زملائي كتاب دينه
المقدس فكان آخر ما أوصاه به أن يذكر ربه ولو نسي كل شيء
وقد رأيت بالأمس القريب آباء فتياتنا وأمهاتهن يقدمون لهن
المصاحف ويوصونهن بذكر الله وما أجدر قلب الفتاة الطاهرة
أن يعمره ذكر الله الكريم .

وقد سمعت بالأمس القريب ، كما سمعت بالأمس البعيد ،
المودعين يذكرون فتياتنا بالخلق وبالشرف وما أجدر نغمات
الشرف بأن تعمر أذن الفتاة وما أجدر الشرف أن يذكره الذاكرون
لمن نبتن في الشرق وعشن في نوره وآلامه .

وقد سمعت بالأمس القريب من الآباء كما سمعت بالأمس
البعيد ذكر الوطن وللوطن على أبنائه واجبات ، وللوطن على أبنائه
حقوق ، ومرحى لمن يؤدي للوطن حقاً وهنيئاً لمن يقوم له بواجب .



ان ذكر الله ونجوى اسمه عند السفر وحيال النازحين أمر
قديم قد عرفناه وألفناه ، والوصية بحسن الخلق وكرم السيرة عند

السفر وحيال النازحين أمر قديم قد عرفناه وألفناه ، وذكر الوطن والوصية بعزته ومجده عند السفر وحيال النازحين أمر قديم قد عرفناه وألفناه . لكننا لم تألف قبل هذا الأمس القريب تلك الدموع الغالية ترسلها تلك العيون ، وتلك الزفرات تفيض بها صدور يملؤها الحنين ، لم تألف مرأى عرائس النيل المخدرات ينزحن في سبيل العلم والوطن .

إيه يا فتياتنا ان الوطن المتحفز للحياة يرسل أبناءه في سبيله جيلاً بعد جيل فتفنى الأجيال لرفعته وهو خالد، ويرقى على مجهودات أبنائه التي تتكسد تحت قدميه وهو صاعد .

إيه يا بنات النيل سلام عليكم ما حفظتن للنيل عهده . وأديتن الأمانة وشرفتن الكنانة .

سلام عليكم ما قدرتن الشرف والوطن وان الوطن بمن فيه من فتیان وشیب فداء لشرف فتياته وأمها ته .



لا تنسين تلك الأوراد التي قرأها لكن الأمهات قبل أن تبرحن أرض مصر . ولا تحقرن تلك التمايم التي أوصاكن بها أمهاتكن الطيبات الصالحات ، واتلون تلك الأدعية التي أوصيتن

بتلاوتها !! أتدريين ماذا تفيد تلك الأوراد ولأى شيء ترمز حقاً
تلك التمام؟؟

إنها ستصيرخ في آذانكن بأ نكن من قوم لهم ماض وتقاليد
وان للماضى عليكن ان تطورنه ولكن لا تحقرنه .



يا فتياتنا المبعوثات من مصر ولخير مصر ، انكن ترسلن إلى
بلاد طالما حاكى نساؤنا نساءها فيما لا ينفع لفاكينهن أنتن فيما
ينفع واقدمن الينا بما يفيد .

قد تقنع منكن بالقليل من العلم الناضج الصافى ، ولكن
لا نرضى أن تقدمن الينا إلا بالكرامة كلها ، وبالشرف كله ،
فارجعن به كاملاً أو متن فى سبيله .

الفاهرة فى ٣ من اكتوبر سنة ١٩٢٥

حول الديمقراطية

لصغار اليوم ورجال الغد

يوم الخميس ، أمس الأول ، كان عليّ أن ألقى درساً في مدرسة المعلمين وفي ساعة يعقبها انصراف الطلاب إلى دورهم . وما هو إلا أن ألقيت درسي حتى انحدرت إلى منزلي من غير إبطاء . وبينما أنا في طريق مسرعاً ، إذ حانت مني التفاتة عند مدرسة المنيرة الابتدائية ، فوجدت سرباً من صغار التلاميذ يحومون حول شاب طويل القامة ، رث الثياب ، قائم اللون يتحرك بينهم حركات تتم عن ضجر ، دون أن تبدو على وجهه الأشعث الأغبر علامات الغضب ، بل كان يبدو في ثنايا سحته المظلمة البائسة شيء من العطف غير يسير . وكأن هؤلاء الصبية يحومون حوله كما يحوم النحل حول شجرة باسقة ، ولأصواتهم أزيز يشبه أزيزه ، ويرسلون أكفهم الصغيرة لشيء بين كفيه الضخمتين القويتين إرسال من يريد أن يخطف شيئاً عز عليه أن يناله .



مر بنفسى خاطر من السوء نحو هذا الفتى الوضع طبقة فى
عرف الناس ، ودفعتنى عواطف أبوية ، بل دفعتنى مهنة المعلم الى
أن أقصد إلى هذا الجمع من التلاميذ لأتبين سره وغايته ، وأعمل
عندئذ بما يوحىه الى واجب المرشد إزاء ما يستجلى من أمر .

لما تقدمت الى الجمع صاح الفتى « الديموقراطى » بصوت
أجش : إنها مئتان ! ! مئتان قد نفذتا فى هذا المكان . والله انها
مئتان ! وأصوات الصغار تردد متقاطعة : هات واحدة . بل
هات واحدة . انا لم نأخذ منك ولا واحدة !

ولما رآنى الفتى مقبلاً عليه مد الى يمينه من فوق رؤوس هذا
الجمع بشيء مما معه ، فتبينت إذ ذاك أنها كراسية بيضاء عليها
إعلان لحدى دور الصور المتحركة ، وان الصغار يتهافون
ليصيبوا من هذه الكراسيات التى توزع بلا ثمن ، وان الفتى
المنكود المكدود يقوم بما سخر له من توزيع الاعلان بذمة ونشاط .



حينئذ بدد ضياء الحقيقة ما هجس فى خاطرى من سوء
الظن ، وفاضت نفسى بعطف سابغ حول هذا الجمع البريء ،

وتمنيت لهؤلاء الصبية الصغار الذين هم عقول المستقبل ، وضياؤه
وعدته ، أن يدينهم هذا المستقبل من ذوى الأذرع العاملة
المنتجين ، فيلتفوا حيال الديمقراطية ، إيماناً بما عندها من خير
وثمر ، كما يلتفون اليوم حول واحد من ممثليها التعساء ، ويتخاطفون
بغبطة ما تمدده اليهم يده المنتجة العاملة !!

القاهرة في ٧ من نوفمبر سنة ١٩٢٥

فكر سجين

بعد يوم كد فيه الذهن ونصب ، وبعد ليل قضيت بعضه
في حوار عنيف يثير في النفس همًا ويفريها بجهود . عدت
إلى داري بنصيب من الحمى لا أدري أهو عند أهل الطب
ما يسمونه حمى الأوصاب ، أم هو ضرب من ضروب الاضطراب ،
تلقيه إلى جنبات هذا الجسم أمواج في النفس فتظهر ما في قرارها
من عناصر الألم ، والاشمئزاز ، والثورة على ما يغيظ ويوجع من
حوادث هذا الوجود .



عملت الحمى عملها من العبث براحتي ، وصدت النوم عن
جفون كانت في حاجة إلى أن تنطبق عليه . ولبعض أنواع الحمى
نسيج من الذكريات والتفكيرات طالما تشابهت مع ألوان من
الهذيان ، دون أن تكون عناصرها حقاً من الهذيان . لكنها
أمور قد تكونت من آثار الحياة الواقعة ، وتسربت إلى أعماق
النفس ، ثم توارت في هذه الأعماق ، واستكنت فيها زمناً والعقل
في غفلة عنها ، ثم طففت تحت تأثير غارض من الأعراض وكثيراً

ما تعين بعض أعراض الحمى على ظهورها ، وكثيراً ما يكون القلم الدقيق أداة لاقتناصها .



كان أول ما شعرت به طافياً في النفس بعد غفوة من غفوات آخر الليل شبّح الحرية ، وصورة الحياة الحرة ، واستدعت تلك الصورة معها ما قد يعتور الحرية من عقبات تحول بينها وبين عشاقها وأنصارها ، فظهرت أمامي تلك القيود التي تشد القلم وتثنيه عن الكتابة فيما يذهب إليه ، ومثلت أمامي تلك العقد التي تعقد اللسان وتلويه دون قصده من الحديث فيما يريد ، وصورت أمامي تلك الحواجز والاعتبارات التي طالما حالت بين الإنسان وبين ما ينزع إليه من أقوال وأعمال .

وما كان أفضعها من صور وأنا في الليل وبين الوحدة والهَم والألم !!

حوادث تمر علينا سراعاً والحياة تمضي سريعة ، فوددت لو ظفرت بالأسباب التي تهيج لي أن أسجل عن تلك الحوادث رأياً . لكن ما في النفس من رأى يحتبس كما تحتبس الزفرات في عين المغيظ .



تركت فراشى وأشعلت النور ، وتحولت إلى حيث تكون
الدواة والقرطاس ، وجلست جلسة المتحفز للكتابة ، وقلت في
نفسى لن تثنينى قيود الوظائف ، ولن تثنينى آراء الناس عن أن
اكتب ، وأن أتكلم ، وأن أذكر ما يختلج فى نفسى وأن أظهر
ما انطوى فى الضمير ، ثم أخذت فى الكتابة وكان القلم مجدأً
مسرعاً فى كلمات تحوم حول ذلك المعنى : لم تقيدون الحرية ولا
تحلونى ولا تشعرون بخيرها وبركاتها وهى تسير فى الأم سیر
الحياة فى النبات الزاهى فتجعل فى الوجود ابتساماً ؟ .

وبعد أن مضيت فى الكتابة على هذه النعمة عدت فتذكرت
أن للجرائد قيوداً ، وأن للكتابة قيوداً ، وأن ما أريد أن اكتبه قد
يدخل فى دائرة تلك القيود القاسية ، فمزقت ما كتبت وعدت
إلى سريرى ثم قلت فى نفسى : سأعقد اجتماعاً لأتكلم وسأسير
بلسانى فى المجالس فأذكر ما أريد أن أذكر ، وأبشر بما أريد أن
أبشر به ، وأدعو إلى ما أريد .

على أننى تذكرت أن فى المجالس عيوناً طالما سعت بالناس

إلى الشر ، وطالما أساءت إلى البريئين من حيث لم يكونوا
يحسبون لها حساباً .

رباه ولكن فى النفس آراء محتبسة تريد أن تجدها فى الخارج
متنفساً والخارج والأسفاه تملؤه الحواجز والعقبات وتحدده الحدود .



ثم أخذت أحاسب نفسى وأقول أهو حرص على مال ،
أم هو حب فى منصب ، أم هو اندفاع فى سبيل لذائذ الدنيا ،
أم هو خضوع لحاجاتها وترهاتها ، كل ذلك ألهانا عن أن نسير
فى الآفاق لتلمس الحياة الحرة حيث تكون .

ثم قلت فى نفسى إنى أصبحت قادراً على أن أباعد بينى وبين
كل شئ ، وأن أترك كل عزيز ، وأبأن هذه الدنيا ، لكنى
تذكرت أربطة ذهبية ثقيلة تربط رجلى ، وتجعلنى أحن الى
حياتى التى أنا عليها وفى سبيلها ألين .



شعرت بضغفى الجسمى ، وبالحرارة والاضطراب ، وبالأفكار
المحتبسة تضغط صدرى وكان الفجر على وشك أن يحين ، وفى
أفق السماء نجم متلألئ كأنه يشير الى أن لا حرية فى هذه

الأرض، وكأني كنت أخطبها قائلاً متى يا كواكب السماء وأنت
تبدین لأبصارنا منيرة، ولآمالنا رموزاً لعوالم لا يشوبها الفساد،
متى يا نجوم الليل تطلق نفوسنا السجينة من سجونها وقيودها
ونعيش في عالم مرتفع حرشبيه بعالمك السماوى المنير ؟ .

القاهرة في ٢٨ من نوفمبر سنة ١٩٢٥

صورة من صور النفاق

على شفثيه ابتسامة وأسارير وجهه مشدودة ليدومنها لون من ألوان الاشراق ، ويلوح على محياه طلاء من البشر . لكن في قلبه سواد ، وبين جنبيه عتمة وسحاب ، وفي صدره إفراز من الخبث ينفثه في حديثه كما تنفث الأفاعي سمومها في الماء النмир .

هو في ساحة الأمير يدعو للأمير بالنصر والتأييد ، ويتشدد بمظاهر الحب والولاء ، وهو في حضرة الوزير يقول لقد انفرد مولاي بالاصلاح ، ولم يتخذ لاعماله إلا مدارج الفلاح ، فإذا هوى عن ساحة الأمير ، وانحدر عن حضرة الوزير ، أخذ يهجوم مع الهاجين وينتقد مع الناقلين .

قد تجده أحياناً يختلف إلى القهوات والمجالس ليختلط بمن لا يحب ولا يتفق وإياهم من الناس فيسايرهم ، ويلين في القول كأنه في اعتباط ، وتحول أضواء ابتسامته البراقة بين فراسة محدثيه وبين أن يروا ما ظل في أعماق نفسه مستوراً .

تلك هي صورة المنافق الذي يبدو في الحياة بلونين ، ويتشبه بشبهين ، ويبدو ظاهره مغايراً لباطنه .

يقطع المنافق في هذه الحياة ما شاء الله أن يقطعه من العمر ،

زاعماً بأنه عاش طوال هذه السنين حقاً ، وينسى أنه في وقت نفاقه حين يظهر النفس على غير حقيقتها وسجيتها يحكم على نفسه بالاعدام ، وذلك لأن شخصه الصحيح المطبوع قد يتوارى عن الوجود أثناء مظهر شخصه المعتل المصنوع ، الذى يبكى بينما يريد الشخص الحقيقى أن يضحك ، ويمدح بينما يريد الشخص الأصيل أن يقدح ، ويضمر بينما يريد الشخص المطبوع أن يذيع ويظهر .



يحسب المسكين أن نواحي الحياة الاجتماعية لا يلتئم وإياها إلا بعض المواقف التى يظهر فيها المرء على غير فطرته ، وينسى أنه ومن على شاكلته هم الذين يهتئون فى الحياة الاجتماعية تلك النواحي التى قد يفوز فيها المنافق ، ويدحر فيها الصادق .

وقد يقول لك أحياناً على نحو ما يقول بعض علماء النفس والاجتماع : أن حياة الجماعة قد تقتضى فى كثير من شئونها بالضرورة أن ينزل الانسان عن بعض شخصيته ويرأى ويداجى لكن يفوته أنه ينبغى للانسان ألا يقنع بكل ما فى الحياة الاجتماعية على ما هو عليه ، ولكن يجب على الانسان الرفيع أن ينظر إلى الحياة على ما ينبغى أن تكون عليه .

قد يكون من أخلاق البهائم أن تسير على السبيل المطروق وتنتحى النحو المهيأ ، لكن من خلق الإنسان الممتاز أن يستكشف في حياته سبلاً غير التي تألفها الجماعات والاحشاد المنحطة ، وأنه يرى في أفق هذا السبيل كوكب الكمال متلاًئلاً لامعاً .

حياة الإنسان هي شخصيته ، وشخصية الانسان هي مجموعة ما انطوت عليه نفسه من آراء ، ومشاعر ، ودرجات من النشاط ، وحياة الإنسان هي غاية لنفسها وليست وسيلة لشيء . مجمع على حقيقته في هذه الحياة .

فلماذا إذن يغير الانسان ما في نفسه من أفكار لأفكار أخرى ؟ ولماذا يستبدل بعواطفه التي تشبعت بها سجيته عواطف أخرى ، ولماذا يزيّف إرادته التي تلتئم وطبيعته وعواطفه ويتخذ إرادة مغايرة لها ؟ ؟

أيها المنافقون — اعملوا على أن تظهروا على حقيقتكم ، وكونوا كما أنتم ، وعيشوا بوجدانكم ، فذلك أحرى بأن يجعل لكم من الحياة حياة ، والا فالنفاق يجعل بعض العمر نوعاً من الموت هو أخط أنواع الموت لو كنتم تعقلون .

صورة من صور القلب

« مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء »

زيد من الناس قد يكون ربعة القوام ، يضرب لونه إلى الطين الطفلى ، وقد يكون طويلاً أو قصيراً ، قاتم اللون أو أقرب الى الدكنة ، وقد يكون أبيض ، وقد يكون على كل لون شئت ، أو من أى مقياس . لأن نوع المتقلبين عديد الأشخاص كثير الوجوه .

لكن زيدا نبيه يفهم ما يلقى اليه سريعاً ، ظريف لأنه متناسب الخلقة والوضع ، وقاما تغادر شفثيه الابتسامة الودیعة الهادئة . ليس بالمشغوف بالأدب ، وهو على ذلك يحرص على حفظ أبيات من الشعر وبعض أمثال ، وكلها لا يعدو المعنى الذى تستطيع أن تخرجه من ذلك الشطر : « ودر مع الدهر كيف دارا » فكأن الأصل فى فلسفة زيد هذا وثقافته أن يعلم المرء كيف يتقلب ويدور .



كان من الذين متوا الى الحزب الوطنى بسبب يوم كان لرجال

ذلك الحزب الصولة والدولة . وكان مع الوفديين فى وقت ما ، وقد أكل خبزاً وملحاً مع الديمقراطيين ، وتعاقد مع الدستوريين والتحم بالاتحاديين . لم يتصل بحزب من هذه الأحزاب إلا ساعة ظن أن لهذا الحزب شأنًا ونفوذًا ، وقد يكون لرجاله كلمة ومقام ! ما أكثر أُنْدَاد زيد فى الدنيا من الذين يسرون وراء مصلحتهم أو من الذين يستخفون بالسلوك المستقيم وسننه ، أو من الاخساء الذين يتعلقون بمن يقوى ويفرون ممن ضعف .

على أن الذى يسلىنى من أمور زيد هو أسلوبه فى محاوراته ، وبعض أحاديثه ومداوراته ، فى وقت يحسب فيه أن دولة حزب من الأحزاب كادت تدول ، وأن حزباً آخر كاد حاله الى المجد يحول ، أو أن عزيز قوم قد آن له أن يضمحل ، وأن ينال مكانه رجل كان من الذين محيت اسمائهم من الكتاب وأن لاسمه أن فيه ويصير من النابهين .

فى ذلك الوقت يقلل زيد اختلاطه بمن كان يلابسهم كثيراً من هؤلاء الذين آن للمجد أن ينصرف عنهم ، وإذا جلس بالمجالس سمعته يقول هذا بلد لا خير فيه وليس فيه الخير ، وليس الخير فيه ، والخير لا يكون فيه ، وما الى ذلك من عبارات مكررة

. ومعان واحدة تكاد تبغضك الى كل بلد وتكاد تكرهك في كل جماعة وفئة .

وفي ذلك الوقت يشرع في أن يشد الحبل بينه وبين هؤلاء الذين كان قد ارتخى الحبل عندهم من زمن مضى ، ويشرع في أحاديثه بذكر بعض حسناتهم التي كانت في رحمة الله منظوية ويتنزه فرصة سانحة ليرافق صديقاً لزيارة هؤلاء الذين سيصبحون عما قريب أولياءه ويصبح وليهم . وإنك لتعجب من جرأته عند ما يسوق لمن يحسبهم أولياء المستقبل القريب مظاهر الود وآيات التبسط ، ومن تحدّثه معهم في شئونهم الحزبية كأنه واحد منهم ولا تدهش إذا سمعته يقول أمامهم ينبغي أن تكون خطتنا إزاء خصومنا هي كذا وكذا وأن تكون أعمالنا لأصلاح شئوننا هي كذا وكذا بصوت تملؤه الحماسة .

لا تدهش من أمثال هذا يوم تراه أوتوقراطياً ، ويوم تراه ديموقراطياً ، ويوم تراه انكليزياً ، ويوم تراه وطنياً . ويوم تراه ولياً . ويوم تراه عصياً .

هو كل شيء ؛ لأن حكمته البالغة « ودر مع الدهر كيف دارا » ولأنه يجد من الفطنة والذكاء أن يتخذ المرء لكل حالة لبوسها



إن المتقلب لا يقدر قيمة الحياة إلا بمقدار ما يكسبه الإنسان فيها من وجاهة المظهر، وزيادة الثروة، والتكسب عن العقبات، ولا أنكر عليه أن الوجاهة والرزق والراحة من الخيرات التي لا تهون؛ لكنى أنكر عليه الجهل بأن في الوجود خيراً آخر اسمه الخير الخلقى يتلخص فى حسن تقدير الناس للناس، وفى راحة الضمير وأن لذة هذا الخير قد تربى على لذة ما يطلبه من مال ووجاهة وراحة .



أنكر على المتقلب ما أنكر وأعجب لأصحاب المبادئ كيف يلقى المتقلبون فى رحابهم سهلاً ، وكيف يجدون فى الحياة الاجتماعية أهلاً .

أستغفر الله قد تساورنى الوسوس فأقول الناس عندنا أما غافل يستخدمه المتقلبون ، وأما متقلبون بالقوة والاستعداد فهم يأنسون بالمتقلبين بالفعل والحركة .

سعادة الباشا

أو

صورة من صور التصنع

من الناس من يهمل له القضاء أسباباً ليتصف بصفات النبالة والشرف فما يبطنه مما تخفى النفوس نبيل ، وما يظهره مما تبديه الجوارح لطيف ظريف ، وهؤلاء هم الأشراف حقاً ولو لم يكونوا من طبقة الأشراف عرفاً واصطلاحاً .

ومن الناس من ينشأ فظاً فيما يعلن . مردولاً فيما يسر ، فتعاف مظهره ونخبه معاً . فهو حقاً من الطغام رغم وفرة نعمه ، وكثرة خدمه ، وحسن ثيابه . ومختلف ألقابه .

وذلك لأن النبالة الحققة صفة من صفات النفس ، وإن مظاهرها من الحركات الخارجية لا تؤثر أثرها الصالح في الناس ، ولا تقع وقعها الحسن إلا إذا كانت ترجمة مطابقة لما في النفس الشريفة من معاني الشرف وبواعثه .



واليك وصف نبيل من نبلاء العرف لم يجعله الله ليكون نبيلاً ، ولكن الزمان الأعمى حشره في زمرة ذوى الألقاب من أهل الشرف !

عرفت ذلك الباشا منذ كان طفلاً فكان يأكل كما تأكل
الأطفال من أبناء طبقته، ويفرح كما يفرحون، ويحزن كما
يحزنون، فيه وداعة البساطة، فاذا حزن ظهر عليه حزنه، وإذا
غضب بدا عليه غضبه .

ذهب الى المدرسة وجد واجتهد، وجاز عليه كل ما يجوز
على التلاميذ من حيل، وفوز، وآمال، ومشوبة، وعقوبة. وبعد
أن جاز دور التامذة ارتقى سريعاً الى درجات أرباب المناصب
المميزين، ثم حبي الرتب، ثم منح الألقاب، وخلاصة القول
أن صديقنا الطفل الوديع المتواضع حسباً وحالاً أصبح شخصاً
آخر. أصبح مولاي الباشا . . .

ومولاي الباشا تعلم من غير حذق كيف يهتز في مشيته
معجبا، وكيف يحيي أقرانه القدماء من أصحاب « الحضرة »
بنوع من البسمات الحائرة التي توهمك أنها تهبط عليهم من
الأفق الأعلى، وكيف أصبح يحيي زملاءه أصحاب « السعادة »
بنوع من الابتسامات المترققة المتظرفة التي لا تطابق في صناعتها
صناعة الله لوجهه القاتم وشفتيه الغليظتين !

أصبح لمولاي الباشا بطن ولقد كان رفيق الطفل لا بطن له،
وأصبح صوت سعادته يتشعب عند خروجه فبعضه يخرج من
الأنف الشامخ، وبعضه يخرج من حلق مقبوض العضلات،
وقد تسمع من صوته المتوزع بين نبرات الغرور، والادعاء،
والتعاضم، رنات تشبه نعمة التؤدة والرزانة والوقار، كان مولاي
يوهمك في تباطؤ أن كلماته ذهبية تتشاكل في تتابعها لما فيها من
النفاسة والحكم . . .

أين ذلك الصوت الماضى الذى لم يكن فيه تكلف ولا صناعة
وكان يخرج كأنه حديث القلب السليم؟ وأين تلك المشية الخفيفة
التي حلت مكانها المشية المتثاقلة؟ وأين ذلك الاطمئنان والسكون
الذى كان لعضلات رقبته ووجهه، فخل محله التقلص والتصغير؟
وأين ذلك الهندام البسيط وقد حل محله نوع من الاناقة والتجمل
لا يتناسبان وسحته البغيضة .



أشفق على مولاي الباشا أن تعتاد حنجرته وأرجله وعضلاته
ونظراته ما لا يلائمها من الطبع، ويصبح مثله مثل الذى يدع
صنعه الذى يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه، ولذلك

أعيد عليه ما قرأه وقرأناه في كتاب « كلیلة ودمنة » في باب
(الناسك والضيف)

« زعموا أن غراباً رأى حجلة تدرج وتمشى فأعجبته مشيتها ،
وطمع أن يتعلمها ، فراض على ذلك نفسه ، فلم يقدر على إحكامها
وأيس منها وأراد أن يعود الى مشيته التي كان عليها ، فإذا هو قد
اختلط وتخلع في مشيته وصار أقبح الطيور مشياً . . . »



مولای : خفف عن نفسك غلواء شخصيتك الموهومة ،
وكن كما أراد الله أن تكون عليه مما يلتئم مع شكلك ومما يتفق
مع ما راضك عليه آبؤك وأجدادك ، واعلم أن من لبس ثوباً
ضافياً فقد يتعثر ، ومن لا يحذر مخاطر التعالی فقد يتدهور .

السبت في ١٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٥

لعام ١٩٢٦

إيه يا عام أقبل على الوجود كما أقبل عليه غيرك . فانك قد تلقى
في سماوات الصباح شمساً نيرة ، وفي سماوات الليل نجومًا متلائة .
وقد تجدد كما وجد غيرك زهرة تتفتح عن أريج تنشره عطرًا في
الصبح إذا تنفس . وقد تجدد كما وجد غيرك طائرًا أنيقًا يستقبل
نجرك بالتغريد . وقد تجدد عبدًا من عباد الله ناسكًا يحبك
بدعوات وصلوات . وقد تجدد نواة في جوف الأرض تتمخض
عن حياة . وقد تجدد حياة في داخل الأرحام تتحضر للوجود . وقد
تجد فكرًا في داخل النفوس يتوَّشَّب للظهور ، وعواطف في حنايا
القلوب تفيض حبًا وحنينًا .



ولكن . . . ولكن قد تجدد أيها العام مع مظاهر السعادة ،
والنور ، والحياة ، خليطًا من مظاهر الشقوة ، والظلمة ، والعدم .
إن رأيت على الأرض زهورًا ، فقد ترى على الأرض قبورًا .
وإن رأيت شفتين انفرجتا عن الابتسام ، فقد ترى شقين شدا
من سقام وآلام . وإن تسمعت من بعض الأفئدة حنينًا ، فقد
تسمع من أفئدة أخرى أنينًا . وإن وجدت في ناحية من نواحي

الأرض عدلاً ورحمة ، فقد تجد في بعض نواحي الأرض ظمأً
وتقمة . وإن وجدت بطوناً تدفع ، فقد تجد أرضاً تبلع . وإن
وجدت في ناحية من الربوات عيون النرجس يبللها الندى ، فكم
تجد من عيون سليمة تبللها الدموع .



ولم أشأ يا عام أن ألقاك كما يلقاك الشباب في المراقص
والأفراح ، بين قبلات طاهرة أو قبلات فاجرة ، ولم أشأ أن ألقاك
يا عام في مجلس الصهباء بين قرع القواوير أو رنين الطاس والكاس .
ولم أشأ أن ألقاك يا عام حيث يفرع العبد لمولاه ، وحيث يستغفره
ويترضاه . وآثرت أن ألقاك في الأمس الأول في غرفتي ، وحدي ،
وبين حيطان أربع ، لأتحدث اليك في انفراد ، وأحاسبك في
نفسى عن غير غل أو عناد .

شعرات بيضاء أخذت تنبت في الرأس وبعضها يتجه نحو
الأرض ، وبعضها يتوجه للسماء ، رمزاً إلى أنك أيتها الأيام تدنين
الخلائق إلى أصولها في الأرض وفي السماء !! وأعصاب تراخت !
وعضل قد تصلب ! وعظام ييست ! وفي سبيل الخير ضعف
العصب والعضل والعظام .

لكنك أيتها الأيام وإن استطعت النيل من جسومنا فقد
صان لنا الله من عبثك العرض والكرامة فارحلي عنا بما ترحلين ،
واقدمي علينا بما به تقدمين ، فلا حقد عليك لما تسلبين ، ولا
خوف ولا رجاء مما وفيما تحملين .

إيه يا عام لقد تولد في مجراك نفوس بريئة غافلة عما تحفيه لها
لياليك ، جاهلة بما تحفظه لها أيامك ، وإذا بك وأنت تعمل
خلف بسماتك الماكرة لتخفي لتلك النفوس البريئة في مكان
السبل طوالع النحس أو طوالع السعود .

فكم من الناس زهت لهم الأمانى ، وتلأأت لهم الآمال ،
نخدعتهم عن تلك الأمانى ، واطفأت أمام أعينهم نور الآمال !!
وكم من الناس حولت لهم العيش المنكود نعيماً وأحلت لهم
النار برداً وسلاماً .

فيا أيها العام إن غرك سلطانك ، وإن كبر لديك في نفسك
شأنك . فاذكر حكمة سليمان « باطلة الأباطيل وكل شيء غير
الله باطل » .

عند اطلال طيبة

(١)

انتقلت مع فريق من طلاب مدرسة المعلمين من مدينة
الاقصر إلى الشاطئ الغربى للنهر المبارك لأرى ما أبقى الدهر
من معابد ومقابر، ولأطوف طوفة حول ما أبقى الأوائىل للأواخر،
فقطعنا طريقاً ممدودة بين حقول من العدس والحنطة ومما ينبت
النيل العزيز.



كان يحد النظر جبل «القرنة» وهو جبل جبرى غير مرتفع
تواترت عليه مؤثرات الاكوان والأزمان فاعبر لونه، ويكاد الناظر
يراه أفقياً. وكنا كلما دنونا منه بدا للطرف تمثالا «أمينوفيس»
كالأشباح الهائلة يشقان من الفضاء الى السماء شقاً سنجابياً
يتقيد عنده البصر، ولقد خيل الى أن التمثالين العظيمين انما نصبا
للإشراف على هذا الفضاء الواسع، وليلآه رهبة وعزة، ويستوقفا
كل من يمر بهما ليحييهما قائلاً :

سلام عليكما أيها الشاهدان على عز غابر، وبأس حاصر، لقد
تعاقبت عليكما الليالى والأيام، وتخلفت عند قدميكما الحقب

والأعوام ، وانصبت فوق رأسكما أضواء الشمس الضحوك
وعتمة الظلام . سلام عليكما لقد هبت في وجهيكما لوافح الرياح
وتبللت عيونكما بطل الصباح ، وابتسم الدهر تارة حولكما في
هذه الديار فعمتها العظمة ، وقطب حاجبيه لها تارة أخرى
فتوالت عليها الحن والنقمة . كل ذلك وأتما صامتان لا تتحركان
تشعران بعظمة كانت ثم مضت ، وعزة تولت وانقضت . وماض
جد عظيم ، وتاريخ ثم مقيم .
سلام عليكما من كل عابر ، ومن كل ذاكر .



ثم تذكرت في سبيلي الى زيارة الآثار اننى منذ بضع سنين ،
قد قطعت طريقاً في بلاد اليونان لمعابد « دلفوس » يقرب شهباً
من الطريق الذى قطعته فى الأسبوع الماضى وينتهى ذلك
الطريق الذى يتلوى ويهبط ويصعد بين مزارع الأغاب والزيتون
الى واد سحيق ، وجبل صخرى منغلز ، كانت شيدت عنده
بيوت آلهتهم ومنازل السحرة والناسكين فيما سلف .

ثم تذكرت والذكرى تبعث الذكرى أديرة الرهبان النائية ،
وصوامع المنقطعين للعبادة النازحين فمر بخاطرى عندئذ أن أنظر
بين عهدين من عهود التاريخ . وحالتين من أحوال النفس البشرية

مر بخاطري أن أنظر بين العهد الغابر ، والعهد الحاضر . وبين النفس المتصلة بالملا الأعلى والنفس المتصلة بشؤون الدنيا .

لقد كان العهد القديم يعنى بالمعابد والقبور لأنه كان عهد الله وعهد الأديان ، فتخير آثاره ومشيداته كل مكان تكتنفه الرهبة ، وقصد الى كل ناحية تشملها السكينة والقرار والهيبة . وحيث وجد المكان منسجماً مع نزعته الربانية شاد لدينه وآخرته وأعرض عن دنياه . أما العهد الحديث فهو عهد دنيوى فقد جعل آثاره فى المصانع والمتاجر وشادها حيث تسهل المواصلات ، وتقضى الحاجات وتدر الأموال ، وتكثر الأعمال ، فحيث وجد المكان والزمان ملائماً لابرار نزعته المادية من مصالح الحياة شاد للأرض وعمر ، ونسى ربه فى السماء وتكبر .

ولو جاز لنا أن نتنبأ بأمر المستقبل لقلنا ستكون آيته المصنع والمتجر ، وأما الماضى فأيته المعبد والمقبر .

أن نفس الإنسان الذى مضى كانت تهيم بعالم البقاء ، وتعاف الفناء ، وأما نفس الانسان الحاضر فانها أعلق بعالم الشهادة وأدرى بالمنافع ، وألصق بالواقع .

إنسان الماضى سماوى ، وإنسان الحاضر أرضى ، فهل حقاً هبط آدم وأبناءؤه إلى الأرض من السماء ؟ ! !

(٢)

الكرنك

... وذهبت فى ليلة مقمرة الى معبد الكرنك . وفى الليل
تطيب التأملات ، وفى ضوء البدر المنتشر فى السموات والأرض
ما قد يأخذ بالنفس العانية الى نوع من الارتياح والانسراح ،
وبين الأطلال البالية حيث تصيح البوم صيحاتها ، وتئن أناتها ،
ما قد يوحى الى النفس خشية الوحشة ، ورهبة العدم ، وبين
الأروقة الواسعة ، والعمد الضخمة المرفوعة ، والتماثيل الموضوعة
والأفنية المنبسطة التى تسمع من خلالها ديب هوام الأرض
وخشاشها ما قد يدعو الى سكينة فى النفس واحترام يخامر
الإعجاب والدهش .



هناك فى تلك الليلة البيضاء بين تلك الأروقة ، وعند تلك
الأعمدة ، وفى هاتيك الأفنية ، شعرت نفسى بحاجة إلى التأمل
وحالة من الارتياح ، والهبة وتقدير العظمة . وقد يفعل هذا
المزيج من الانفعالات فعل السحر أحياناً . وما السحر إلا ذهول
المرء عن الحقائق فتؤخذ نفسه بغير الواقع ، وتتصل بضروب

الخيال ، وتلابس الظنون والأوهام ، فيرى ما لا ترى العيون ،
ويسمع ما لا تسمع الآذان ، ويحس ما لا تحسه المشاعر .

✱
✱

كثيراً ما يشعر المرء بأثر السحر عند منظر جميل أخاذ ، أو
عند نغم مستطاب شجي ، أو عند رؤية ما يروق من مظاهر
الكون أو آيات الفن : لكن أثر السحر يختلف باختلاف علله
وتباين أسبابه . فتأثير الهياكل والآثار في النفس لون من السحر
يغاير في نوعه تأثير الأغاني والألحان ، وذلك لأنه يرد النفس إلى
الماضى البعيد فترى العين بعين الغابرين ، ويستحيل الذوق إلى
ذوق البائدين ، وذلك لأن كل أثر من آثار التاريخ قد يستبق
فيما أبقاه عبقرية من شادوه ، وذكرى من أقاموه ، وحس من
هياؤه ، وإن شئت فقل خلاصة تاريخهم الناطق ، وإن شئت
فقل أرواحهم الحائمة . وقد تجتاز هذه المعاني جميعاً نفوس الزائرين
فتأثر بها فتصيرها لحظة من جوهر غير جوهر الحاضر ، وتحرف
بها عن تقدير الحال فتنساه ، ولذلك قد يرى الإنسان عصرًا غير
عصره ، وينظر بنظر غير نظره ، ولعل السر كل السر في زيارة
الآثار أن يتعلم الزائر كيف يستغرق بشعوره في شعور الماضين ،
ويتمثلهم زماناً ومكاناً .

ولقد اختبرت في نفسى فيما مضى أثر الفن اليونانى القديم
فى وقفة وقفها با « الاكروبول » فى ليلة قراء فكنت أحسب
أن الأعمدة المنحوتة من المرمر المسنون ، وبقايا التماثيل والأحجار
التي ينساح عليها الضوء الفضى الخالص ، كلها تبسم ، وكأني
كنت أرى أشباحاً من البشر الضحوك تصب الحبور ، وترسل
الأنغام ، وتدير المراقص ، وتنشد أناشيد الجمال .

ومن نحو أسبوعين قد اختبرت فى نفسى أثر الفن المصرى
فى « الكرنك » فشعرت بالسحر فى ساحاتك يا آمون ، نخلت
أن الكهنة بمسوحهم يحملون السفن المقدسة ويطوفون
ويرتلون ويتمتمون . وخلت أن عظيماً من « الرمامسة » تنزل
الأرض لجبروته وتتلاأ السماء فوق عرشه ، ويصيح بالناس وهم
سجد خشوع ، أنا ربكم ، ولى أرض مصر . ولى فيها الحصون
والخلود .



ايه يا مبيد السالفين ، يارب العالمين . ايه يا حقيقة فوق
الحقائق ، ويا ملء الآفاق ومبدع الخلائق . إن يكن الإنسان
وهو ذلك المخلوق الضعيف الذى توزن كلماته ، ويحد زمانه ،

ويقاس مكانه . ليس فى مقدوره إلا أن يلهج بعظمتك حقاً
فى معبار حروفه ، وقدر زمانه ، ومحدود مكانه ، فصورك أحياناً
من منحوت المحاجر ، وشاد لمجدك العماثر ، وصاغك من صلب
المعادن ، وشكك من باسق الأشجار ، وتطلع إلى وجهك فى
اشراق الشموس والأقار ، ودعاك بأسماء مهما اختلفت مقاطيعها
وعباراتها فما هى الا موجات من موجات الاهتزاز ، فأنت أنت
وان تباينوا فى تعيين صفاتك وأسمائك أنت أنت رب الأرباب
الذى تشعر النفس ساعة صعودها وصفوها بعظمته وربوبيته ،
وأبديته وسرمديته .



وكان ضوء القمر الفضى مموهاً بشيء من زرقة «الجرانيت»
وكنت أكاد فى ذهولى لا أشعر إلا بمعانى العظمة والجلال .
ولكنها التفاتة بدت منى الى السماء الواسعة اذ كانت الشعرى
تتلاً فى كبدها ، وتوهج ، فكانت كأنها كلمة الله الأعلى تقول
لمن سحرته عظمة فرعون وفتنه فنه : إن عظمة الله فى السماء
فوق كل عظمة وفنه فوق كل فن .

أيام العيد الفائتة

هى أيام كتلك التى تأتى بها دورة الفلك ، فتطلع فيها الشمس
فى متنفس الصباح ، وتغرب فيها كذلك عند مقدم الليل
وحلول الدجى .

وهى أيام لا يصيب فيها الأرض إلا ما أصابها من الخضوع
لسنن الوجود .

وهى أيام لا تتخلف فيها تلك القوة العظيمة التى تشد الأرض
فى مدارها حول الشمس ، وتدفع حول الأرض تابعها القمر .
وهى أيام لا يفتأ فيها الندى يتساقط على كؤوس الزهر ،
وتجرى فيها الجداول بين الحقول النضرة ، وتغرد فيها الطيور
على أفنان الشجر .

وهى أيام قد تتحرك فيها الأصدا ف وما فيها من لؤلؤ دفين
بين طبقات اللجج ، وقد تتحرك فيها الدموع على عزيز طوته
الغبراء فى أحشائها .

فهى أيام شأنها إذن فى عالم المحسوس كشأن غيرها من الأيام .

✱

✱ ✱

لكن فى نظام الكون عالماً معنوياً يرى بعين غير التى ينظر

بها الى ذلك الوجود المحسوس، عالماً لا يخضع لقوانين الأفلاك إذا
هى تدور أو إذا هى تمور، ولا لقوانين الحياة والأحياء إذا هى تنمو
أو تحور، عالماً لا يخضع إلا لقوانين القلوب إذ تذكر وتشعر،
أو تظهر وتضمّر. ولقوانين النفوس إذ تميل وتنفر، وتتمنى وتقدر.

✱

✱ ✱

وفى تلك الأيام التى يصطلىح الناس على تسميتها أيام العيد،
يتجلى منظر واضح من مظاهر تلك القوانين النفسية قد ينتهى
عند تحليل ما يتصل به من طقوس، ورموز، وأدعية، وصلوات،
الى صنوف من الذكريات، وألوان من الأمال، وضروب من
الانفعالات، تلفح ريحها الأفراد والأمم وقد تفعل فيهم فعل
السحر فتخرجهم عن طورهم المألوف فتصبح أيام العيد كأنها غير
سواها من الأيام وكأن شمسها غير الشمس ونسيمها غير النسيم.

✱

✱ ✱

ولقد مرت علينا سنون طيب الله ذكرها من سنين كان فيها
القلب باسمًا، والبال ناعمًا، فكنا نشعر بقانون العيد كما يشعرون
ونلبس له الجديد كما يلبسون... ولكن... ولكن الفلك
سيار، والزمن جبار، فلا هو يبقى الغصن لينًا رطيبًا، ولا هو
يبقى القلب للسرور خصيبًا.

فأين أنت يا أيام النفوس الفتية ، ويا ليالى الصبا الهنية ، أين ؟
أين أنت وقد كنت تجودين على القلب بخصائصك من مجبوحة
السرور ، وعلى الذهن بسعة الخيال ، ولذائد الأحلام والآمال .
وكنـت تجودين بجميل الذكريات . وكنـت تجودين بملء
الضحكات ، وكثرة البسمات . وكنـت تجودين بأحاديث
الأنس والجمال .

أين أنت يا تلك الأيام ، أيام العيد ، التى كانت تشرق شمسك
دون أن تمر أضواؤها بسحب متلبدة ، وغيوم متعددة ! .
وأيـن أنت أيها البصيص من النور الوهاج والأمل ، الذى
كان يحفز الهمم القوية للنشاط والعمل . أين ! .

سلام على ما مضى وفات ، ونظرة رجاء لما هو آت . وليبارك
الله للزهرة المتفتحة فى أيامها وأعوامها ، وللصغير الناشئ فى جديد
ثيابه ، وفى عطف أحبابه ، وليغمر بفضله محيا الناس بالسرور ،
وقلوبهم بالنور . وليسـبغ على نفوسهم أسباب الوئام ، وليهيء
للأمة فى سبيلها الرشاد والسلام .

التسامح

فى هذا الوقت الذى يحل فيه كدح العام وكده على الجسوم ،
وتقع فيه ضروب من الأوصاب على العضل والأعصاب ، بل
فى هذا الوقت الذى قد يشتد فيه القيظ أحياناً ، فتذبل الزهور
على العيدان ، ويشرد فيه الكرى عن الأجفان ، بل فى هذا الوقت
الذى قد تعرض فيه لنوابنا الكرام ألوان الآراء ويطلب اليهم
أنواع الافتاء . بل فى هذا الوقت الذى يذهب فيه الفحول من
شيوخنا مذاهب الجدال ، وتظهر فى مجالسهم مظاهر النضال ،
بل فى هذا الوقت الذى تضجر منه النفوس وتسأم قهيج من
الجليل ، وتهيج من القليل ، أقول فى هذا الوقت يطلب الى عزيز
على أن أتحدث الى القراء فى معنى التسامح — وآه لولا التسامح
وبلسمه الشافى لالتهمت النفوس من كل مجادلة ، أو من كل
مبادلة ، ولولاه لولاه لجرحت نفوس الناس من التشاد ، وتورمت
أفئدتهم من الأحقاد ، ولولاه لتقطعت أوصال المحبين ، وتفرقت
جموع المتواصلين ، فهو نعمة لولاه لما ظل الخير بين الناس .

ولقد يكون للتسامح غدة روحية جعلها الله فى القلوب لتفرز
فيها عصيراً طاهراً يرهما كلما قرحت من أمور الحياة الاجتماعية

وشئونها القاسية ، ولقد يكون التسامح أدنى الخلال بمجدارة ابن آدم الذى سواه ربه وسوى معه ضعفه ونقصه .

يقول أهل الأخلاق إذا كان من حق الإنسان أن يقيد نفسه ويربط عقيدته بما يبدو له حقاً ، وأن يميل عما يظهر له باطلاً ، فمن واجبه كذلك حيال غيره أن يحترم آراء هذا الغير فيما يبدو له حقاً أو باطلاً دون أن يلزم بالاعتناع بحقه أو بمطاوعته فى باطله . ولا يقصر الأمر فى احترام رأى الغير على الرأى المستكن فى النفس ، أو الملابس اللينة وما تخفى الصدور ، لكنه يتناول مظاهر هذا الرأى من قول ينطلق من النفس انطلاقاً الى الحياة الظاهرة ، أو من عمل يتحقق به أمر من أمور هذا الوجود على أن يكون هذا القول أو هذا العمل غير متعارض وحق الغير أو معطل لمسعاها .

ويقول أهل الأخلاق أيضاً : ينبغى ألا يتخذ الإنسان وسائل العنف ، ولا يستخدم ضروب التأثير القاهر ليحول شخصاً عن آرائه وعقائده لعقيدة أخرى ، ولو كانت تلك العقيدة صحيحة سليمة ، وما كان عليها ذلك الشخص معتلة سقيمة ، لكن لكى يأخذ أحداً غيره الى رأيه ينبغى أن يسلط عليه الحجة برفق ، ويرسل اليه البرهان متيناً ليناً ، ذلك لأن الأدلة والحجج تعمل

فى النفوس عملها ولو كانت مصفحة بالمكابرة لأن الحق ضياء والضوء جذاب بطبعه ، والباطل ظلام ، والظلام بطبعه منفرمقوت مهما دفعت اليه الأهواء التى تطمس على البصائر وتعمى الأبصار .

قد يخيل للمرء أحياناً أن الاقتناع برأى من الآراء يحمل المقتنع به على الدعاية له بنوع من المغالاة يمت الى عدم التسامح ، وقد يخيل للمرء أحياناً أن الذى يقتنع برأى ولا يبشر به بشدة هو مفرط فى حق عقيدته وإيمانه ، مستخف بمبدأه ورأيه ، لكن لو تأمل الإنسان قليلاً لوجد أن الحرص على تأييد رأى صحيح لا يقتضى الشدة فى وسائل ذلك التأييد ، لأن خير مؤازر للحقيقة نورها الساطع ، وان الحق لشديد بنفسه قوى بأثره وتأثيره .

ولطالما أدى التعصب لرأى من الآراء وعدم التسامح فيما عداه الى القطيعة بين الخللان ؛ وحسب الإنسان ، لكى يتسامح ، أن يذكر أنه مهما بلغ من الوصول الى الحقائق فإن جوهرها المطلق ليس فى حيازته وإنما هو فى حيازة الله ، وحسبه أن يتذكر كذلك أن بعض الحقائق التى تحكمنا ببراهينها وتبهرننا بضياءها قد يسطع من خلفها نور يتضاءل عنده كل ما نرى من ضياء .

واطالما أدى كذلك تمسك أهل النفوذ والسلطان والحكومات
برأى من الآراء مع عدم مراعاة التسامح فيما يخالف هذا الرأى
الى تقسيم الأمم شيعاً ، وتمزيقها ألفافاً ، ورياضة بعض على الخنوع
والذلة ، وبعض على النفاق ، وبعض آخر على الجمود . وسر عظمة
الأمم فى الإباء بيت فى أفرادها ، والصراحة تقيض بين يثاتها ،
والتفكير الحر يعم رؤوس مفكرىها .



والتسامح فى درجة من درجاته قد يتشكل بصورة العفو
عن بعض الزلات والذنوب ، وصفة التسامح من الصفات التى
ينسبها السادة أهل الدين والتقوى الى الله واسع الرحمة الغفور .
وقد اتخذ الأنبياء والصالحون من التسامح والعفو ما جعلوا به
شماثلهم فاتصف بالتسامح موسى وقدس التسامح عيسى وعمل
بالتسامح محمد حتى لقد ورد فيما يروى من الآثار الإسلامية أن
رسول الله العربى لما قدم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس
حوله وقال :

لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر
عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال :

يا معشر قريش !؟ ما تقولون ، وما تظنون . فقال قائلم
نقول خيراً ، ونظن خيراً . أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت .
فقال الرسول أقول كما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم
يعفو الله لكم .

وجدير بالمرء أن يذكر قول من قال :

وخذ من الناس ما تيسر ودع من الناس ما تعسر
فإنما الناس من زجاج ان لم ترفق به تكسر
فتسامحوا وتصافوا ان الله يحب المتصافين المتسامحين .

القاهرة فى ١٩ من يونيه سنة ١٩٢٦

للعام الهجرى الجديد

فى لىالى هذا الأسبوع الأول من شهر المحرم رسمت على صفحة السماء أهلة كأنها شقق اللجين تتزايد ثم تتزايد حتى تصبح بدوراً كلما تقدمت لىالى الشهر الى منتصفه ، ثم تتناقص هذه البدور حتى تغيب ، وهكذا تنشأ الأهلة وتنمو فى كل شهر عربى ، وهكذا تتضاءل البدور وتضمحل وتغيب .

ولقد اعتاد الناس أن يستبشروا بيزوغ الهلال ، أول كل شهر عربى ، ويدعوا رباً طالما تقبل دعاء المستبشرين أن يهله بالامن والايمان والبر والسلامة ، وأن يجعل الشهر مباركاً عليهم وعلى آلهم وعشرائهم ومن يحبون .



وفى هذا الأسبوع من هذا الشهر كم من دعوة عرجت الى السماء من قلب يملؤه الرجاء ، وكم من قبلة ساذجة طاهرة ألقتها أم رءوم على جبين ولدها وهى تنظر الى الهلال باسمه مستبشرة ، وكم من صديق نظر الى وجه صديقه وفاض من عيونهما البشر بعد أن لحا القمر الناشئ فى الأفق ، وإن وراء هذه الدعوات

وان حول هذه القبلات ، وان خلال هذه البسات قد يتجلى عطف الله على الناس ورحمته السابغة عليهم ، والله يحب الآملين ويرأف بمن يحسن به الظن من عباده ولا يرضى عن القانطين منهم الذين لا يرجون ولا يتشوقون .

☆
☆ ☆
في الأخبار أن الله أوحى الى داود عليه السلام أن أحبنى ،
وأحب من يحبني ، وحبيني الى خلقى ، فقال داود يا رب كيف
أحبك الى خلقك ؟ قال اذكرنى بالحسن الجميل ، واذكر آلائى
وإحسانى وذكركم ذلك فانهم لا يعرفون منى إلا الجميل .

وقيل ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب
أحد حتى أن ابليس ليتناول لها رجاء أن تصيبه .

وعلى ذلك نستقبل العام الهجرى ونحن نذكر الله ذا الآلاء
والرحمة والاحسان . نذكره راجين الخير متفائلين طامعين فى
إحسانه وغفرانه ، وما الحياة القيمة إلا بشر ورجاء ، وطموح للخير
والعلاء . فأقبل أيها العام الهجرى إذن على بركة الله ورحمته وحنانه
فالرحمة يارب هى أحب صفاتك اليك ، وحسن الظن بك أحب
ما تطلبه الى عبادك ، وأنا لنرجو رحمتك ونحسن الظن برحمتك
ورأفتك ونرجو عفوك عما سلف .



اعتاد الناس أن يهنيء بعضهم بعضاً عند دخول السنة الجديدة
وليت شعري علام يتبادل الناس تلك التهانيء ؟ الآن عاماً
أضيف الى العمر فكان كأنه الحجر الجديد يسمو به لتلك الحياة
هيكلاً ؟ أم لأن العام الجديد مجموعة من التجارب تذكي النفس
وتعينها على أن تتكامل ؟ أم يهنيء الناس بعضهم بعضاً في مستهل
الأعوام لأن المرء يحتاز من سبيل العمر مفازة تخرج من مخاوفها
سالماً ، وقطع طريقاً فلم يضل فيها ، ولم يك فيها من العاثرين ؟
أم يهنيء الإنسان الإنسان بالزمن الذي انقضى من العمر فأصبح
ما سوف يتحمله الإنسان من سنى العيش وانصبه أقل عدداً
وأخف أحمالاً وإثقالاً ؟ !!!

لو أنصف الناس لجسوا التهانيء على ما فى الحياة من قيم ،
وإن عاماً جديداً يفتح سبيله فى عمر الإنسان العاقل الحكيم لهو
نعمة من الله قد يستفيد المرء من بركاتهما ، ويثقف بعظاتها ،
ويرفع النفس بتجاربها وآياتها .



إذا كان لنا أن نستقبلك أيها العام الهجرى الجديد بنوع من
أنواع العبادة عملاً بوصية أهل التقى الذين يستحب عندهم بناء السنة على

الخير لكي يكون ذلك أحب وأرجى لدوام بركة الله ، فتقبل منا
ربنا دعاء خالصاً نرفعه الى وجهك الكريم مخلصين .

اللهم لقد قطعنا من العمر مراحل فيها كبونا ، وزلت النفس
وعثرت القدم ، فأعنا على أن نستفيد لبقية طريقنا من كبوة
كبوناها فيما مضى ، وعثرة عثرناها ، فيما اتقضى . اللهم لقد كتبنا
بأعمالنا صحفاً تشهد عندك علينا بما أحسننا وبما أسأنا ، فأعنا
على أن نكتب في صحيفتنا الجديدة ما يزيد فيها الحسنات على
السيئات .

اللهم تقبل منا دعوة صالحة لبلدنا الذى نعيش فى ظله ،
ونستمتع بخيره ، ولأحبابنا الذين نعم بعطفهم وودادهم ، وأنا
لنحمدك دائماً ونأمل فى برك وخيرك . آمين .

القاهرة فى ١٧ من يوليه سنة ١٩٢٦

لهجة ابن الخاقان

لما مات السلطان الخليفة محمد وحيد الدين السادس ناولنى صديق الأستاذ داود بركات جريدة من جرائد الشام لأقرأ فيها ما يأتى : « تلقينا من سمو البرنس محمد سليم افندى الكلمة الآتية : يشكر البرنس محمد سليم باسم أعضاء البيت الملكى العثمانى رجال المفوضية العليا والحكومة المحلية والشعب البيروتى والوفود التى أتت الى بيروت من الجهات وجميع من تفضلوا فشاركوا آل عثمان فى تشييع جنازة السلطان الخليفة وحيد الدين السادس طالباً من الله ألا يريهم مكروهاً فى عزيز . باسم العائلة الملكية العثمانية البرنس محمد سليم بن السلطان عبد الحميد خان الثانى » .

لم يقدم الى الصديق تلك الجريدة لأطلع على كلمة شكر مفيدة فى جريدة سيارة ، لكنه أراد أن التفت الى كلمة قد لا تمر دون أن تترك فى النفس أثراً غير الآثار التى تتركها فى النفوس كلمات الشاكرين المحزونين ، كلمة شكر للناس ممن كانوا يقدرّون أن من واجب الناس أن يشكروهم بعد الله ، وان من حقهم حيال

الناس أن يقبلوا الشكر أو يردوه . كلمة شكر ممن كانت تخفض لهم أرفع الرؤوس ، وتتضاءل عند عزم أعز النفوس . كلمة شكر ممن كانت الجباه والأنوف تتضع عند حشمهم ، وترغم عند خدمهم . كلمة شكر يكتبها ابن الخاقان الأعظم في جريدة سيارة ، وفي نهر من أنهارها التي تتسع لأكثر ما تخطه أقلام الكتاتين ، ولأكثر ما يروى من أخبار النashرين ، ولأكثر كلمات الآجرين . فسبحان من يهز العروش ولا يهتز عرشه ، ويضع الأعلياء . ويرفع الأذلاء . وهو باق في عظمته وملكوته ، لا يداني عزته عز ، ولا تهز عرشه قوة .

ان الخواطر تدعو الخواطر . وبعض الذكريات تدعو الذكريات . وبعض العبر تدعو للعبر . ولقد تذكرت فيما تذكرت عند ما قرأت كلمة الشكر زيارة لقصر من قصور قياصرة النمسا عرضت فيه للزائر أمتعتهم الغالية وزخارف الدنيا التي كانوا بها ينعمون . ونعيمها الذي كانوا فيه يتقلبون . وفي القصر رأيت غرف نومهم ونعيمهم ، وغرف أسماهم وعظمتهم . وفي غرفة من الغرف قليلة الرياش رأيت سريراً بسيطاً ، ومحراباً ، ومنضدة ، وضعت عليها كتب مقدسة . ووقف بنا الدليل ، عند هذا السرير الضئيل ، وفي هذه الغرفة الساكنة التي تتجلى فيها آثار الزوال ، ومظاهر

الاضمحلال، قال هنا مات فرنسيس يوسف القيصر وبموته مات عهد القياصرة . وفي هذه الغرفة التى وقفنا بها وقفة محيت كل مخايل العزة التى كانت تتجلى فيما رأت العين من غرف تخيل لنا الذل بعد العز، والإقلال بعد الإقبال، والشقاء بعد الهناء، والفناء بعد البقاء، وحول السرير الذى ذهب صاحبه إلى حيث لا يعود وفي الغرفة التى خمدت فيها أنفاس كانت قوية، وخفت فيها صوت كانت تخفت عنده الأصوات، لم يبق إلا صدى يكاد يتردد حول المحراب: أن الملك ليس إلا لله، والعظمة الحققة هى له دون سواه . ثم هبطنا الى حيث رأينا مكان مراكب القياصرة وتصورنا الخيول المظلمات وجلالة الراكب، ورهبة المواكب، ولكن وقع نظرنا على المركبة التى حملت فيها الملوك الى مقابرهم على مقربة من تلك المركبات التى كانوا يذهبون فيها الى مواكبهم، فتذكرنا كذلك أنه يخلف الشقاء الهناء، وقد يخلف الفناء البقاء . فلو علم العاقلون من الملوك والأمراء والسادة والعظماء أن السماء فى الأفق قد تتصل بالغباء، ولو فطنوا أن الرفيع قد يسفل، وأن نجمه قد يافل، لهونوا على أنفسهم نزعات الكبرياء وخاطبوا الناس بلسان الناس فان لهم يوما تستبد بهم فيه يد الحدثان وتصير لهجتهم كما صارت لهجة ابن الخاقان .

الرضا

... في الأرض زهرة ناضرة تشع من حولها هالة من الحسن والبهاء ، قد تحسبها ابتسامة لماعة كالأمل . وقد تحسبها مراحاً تطمئن اليه العين ويستريح اليه النظر . وقد تحسبها نوراً ينبعث من الأرض ليضيء بأشعة البشر ناحية من نواحي الوجود ، وقد تحسبها عيناً تتجه الى السماء . ويلوح من حولها الرجاء .

وفي الأرض كذلك زهرة ذابلة قد تحسبها مثلاً للانقباض والكتابة . وقد تحسبها النجم الآفل ، والحسن الزائل ، وقد تحسبها كلمة الانقطاع أو تحية الوداع .

وربما كان السبب إلى نضرة الزهرة الباسمة ذلك الشباب الذي يتسلط على حياتها . وربما كان في ماء الحياة السارى في أنسجتها ، وربما كان في محيطها المندى الذي يدفع عنها أعراض الذبول ، ويبعد عنها زمن الأفول ، ولكن أيا كان السبب فإن الزهرة الناضرة تظل رمزاً للبشر والرضا .

وربما كان سبب انكماش الزهرة الذابلة مرضاً أصابها . أوقيظاً لفحها ، أو هرمماً بلغ منها ، ومهما تعددت الأسباب فإنها تظل رمزاً للانقباض والعبوس .



مثل الانسان الذى يفيض البشر فى وجهه ، وينطلق الرضا من محياه ، مثل الزهرة الناضرة تبعث الأنس الى النفوس ، والقرة إلى العيون ، والانشراف إلى الصدور ، ومثل الانسان المكفهر الوجه ، المقطب الجبين ، مثل الزهرة الذابلة إذ يدعو النظر اليها الى الأسى والسامة .

أن الأول ليفهم لغة الاشراق ويحن إلى السرور . أما الثانى فلا يعرف إلا الظلمة ولا تنطلق نفسه إلا إلى الديجور . الأول يطرب للغناء ، ويتشوق لحنين الحداء . أما الثانى فلا يتسمع من الوجود إلا صيحة الشوم ، ونعقة البوم ، الأول يأنس لزقزقة الأطيار ، وحفيف الأشجار . أما الثانى فيعبس للأقدار ، وتسود فى نظره أضواء الأقمار .

قد يجد العبوس لحالته تلك من الانقباض أسباباً . فتارة يحسبها من ضنك العيش ، وتارة يتوهم لها أسباباً من السقام ، وأوهاما من الآلام ، وتارة يحسبها فى خيبة الرجاء ، أو فى شدة البلاء ، لكن لعل أدق الأسباب إلى سرحالته استعدادة للجزع من الوجود ، وخلوه من درع الرضا ووقاية التسليم .

لو علم الانسان حق العلم أن في قوة الإيمان بالأزل وقوانينه ما قد يخفف شدة شقائه ، ووطأة ضرائه ، لما تردد في أن يأخذ طريق الفلاسفة الرواقيين فأمن بما تنزل به اليه سنن الكون بأرضه وسمائه وقبل الأمور بالرضا .



روى أن النبي العربي سأل طائفة من أصحابه ما أتم ؟ قالوا مؤمنون . فقال ما آية إيمانكم ؟ فقالوا نصبر على البلاء ، ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواضع القضاء . فقال النبي : مؤمنون ورب الكعبة .

وروى الغزالي فيما روى أن عابداً عبد الله دهرًا طويلًا فأرى في المنام أن فلانة الراعية تكون رفيقة له في الجنة ، فسأل عنها العابد إلى أن وجدها ، ثم استضافها لينظر الى عملها الذي تستحق عليه نصيبها من الجنة والخلود ، لكن العابد كان في دهشة من أمرها عند ما كان يبيت قائمًا وتبيت نائمة ، ويظل صائمًا وتظل مفطرة ، فقال لها العابد أما لك عمل غير ما رأيت ؟ فقالت الراعية ليس لي والله إلا ما رأيت . فألح العابد عليها في أن تذكر ما لها من سجايا وخصال ، فقالت المرأة لي خصلة واحدة : هي أنني إن

كنت فى شدة لم أتمن أن أكون فى رءاء ، وإن كنت فى
مرض لم أتمن أن أكون فى صحة ، وإن كنت فى شمس لم أتمن
أن أكون فى الظل ، فوضع العابد يده على رأسه عندئذ وقال
هذه والله خصلة يعجز عنها أكبر العباد .



وصفوة القول أنه إذا كان من حق الإنسان أن يضجر بما
هو واقع ، ويعبس ويشور مما يؤلمه من الحياة ويؤذيه ، وإذا كان
من حقه كذلك أن يكون طموحاً إلى ما ينبغى أن يكون ، غير
قنوع بما هو كائن ، فإن من واجبه أيضاً أن يتسم للعيش ويعرف
البشر والرضا ، فى حوادث الدنيا وأمور القضاء .

عام ٢٧

... وأنت يا عام تقبل على الدنيا ، ثم تنطوى عنها . وقد
انطوت من قبلك أعوام ، وتقدمت من قبلك أيام !! فماذا تراك
شاهداً من الوجود ؟

شئ ، يحول ، وشئ ، يزول .

زهر يتفتق ، وأمل يتحقق .

عين تفيض ، وأخرى تفيض .

طير يغرد ويحن ، وطير ينوح ويئن .

نبت يتطلع للنماء ، وشجر يرشحه الذبول للفناء .

كل ذلك ، وأكثر من ذلك يا عام ، سوف تشهده ! ثم قد تقبض
من جعبتك قبضة تلقيها في الكون مصادفة ، وتنثرها ثراً من
غير ترتيب ، فبعضهم يصب من ثرتك ابتسامات مشرقة ،
وبعضهم يصيب منها دموعاً مترققة . ومنهم من يصيب اقبالاً ،
ومنهم من يصيب إقبالاً . ومن يصيب السلام ، ومن يصيب
الخصام . وقد تأتى يا عام بالعجائب ، وقد تظهر فيك يا عام
الغرائب ، وقد تجرى في مجراك المتناقضات ، والمتشابهات !!

☆
☆
فما أنت إذن أيها القادم الذى يدرج الى الوجود فى منتصف
ليلة السبت من آخر العام المنصرم ؟

بل ما أنت أيها الجديد الذى تتسع للقاءه أذرع المتفائلين
بالترحيب ، وتوسد له صدور الشباب الوثاب للحب والأمل ؟
بل ما أنت أيها الكائن الذى يستقبله الناسكون فى مناسكهم
بألوان الصلوات ، وأنواع العبادات ؟

بل ما أنت يا هذا الذى تحتشد له أقوام من الفرنجة فى ييعهم
فيهللون له تهليلاً ، ويرتلون له بكرة وأصيلاً .
بل ما أنت يا هذا الذى تحتشد لطلعته .

هواة متاع العيش فى زمن الصبا ومختلسو اللذات قبل فواتها
فيشرب شاربهم ، ويطرب من يطرب .

بل ما أنت أيها المتمثل فى جنح الليل بمسوحك السوداء
لشكلى مسهدة تذكر عزيزا غاب محياه فى الثرى .
ما أنت ، ما أنت ؟

ما أنت إلا احدى دورات الفلك الدوار وكم للفلك من دورة
وما أكثر ما يدور الفلك !

دورة يجعلها الناس مقياساً لبرهة من زمن بعيد المدى . دورة
لا قيمة لها في ذاتها وما أصغرها إذا قورنت بالدهر والدهر ممدود
غير محدود . إنك لصغير صغير !! ضئيل ضئيل !!

✱

على أنك يا عام قد يأخذك الغرور إذ تذكر لنفسك أنك
بعض الزمن الذي يعمل في تتابع الأحداث ، وتولى النازلات .
ويشقق الأرض صدوعاً ، ويهبط الجبال خشوعاً . ويزلزل
الأرض زلزالها ، ويخرج من الأرض أثقالها . ويدك العروش
العالية ، ويحدد الآمال البالية .

قد يأخذك الغرور وتتولاك العظمة !! ولكن لا عظمة
لك حقاً مهما تعاليت إلا بسرين يخلعهما عليك ابن آدم من أسرار
نفسه : الاستكانة للعظمة المطلقة ، وقوة الرجاء في المال .

فأما الأول فانك تخر خاشعاً عند ما يهتف لك من أعماق
الأبدية صوت يصيح : ما المبدأ وما المصير ؟ ؟

فنقول لله الأمر جميعاً . .

وأما الثانى فالرجاء الذى تفيضه الانسانية من ضميرها لتلقيه
في طياتك وتوجهك في سبيل الخير ، في سبيل الكمال .

الايشار

فى مثل هذا اليوم ، من الأسبوع الفائت ، أشرت على صفحة هذه الجريدة الى أن المنقب فى أطلال القديم يجد بين الترب تبرأ ، وفى مبعثر الحصى ذهباً . وكنت أحقق لنفسى ما أشرت اليه ، فأخرجت من خزانة كتيبى بعض الأسفار ذات الورق الأصفر . ذات الطبع الكريه ، ذات الهوامش والحواشى ، وكلها أو أكثرها مما وضع المتقدمون عليهم الرحمة ولهم الفضل . وكلماً فسحت لى مشاغل الحاضر . تناولت هذه الأسفار لأسمع منها بعض نفحات الغابر ، واليوم أحببت أن أشرك معى القراء فى بعض ما سمعت .



قرأت للغزالى ما يأتى : « قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء وأنا أقول ان كان به رمل سقيته ومسحت به وجهه ، فإذا أنا به ، فقلت أسقيك ؟ فأشار إلى أن نعم ، فإذا رجل يقول آه ، فأشار ابن عمى أن انطلق بالماء اليه . قال فجئته فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك ؟

فسمع به آخر، فقال آه . فأشار هشام أن انطلق به اليه . فجئته
فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت
الى ابن عمي فاذا هو قد مات . رحمة الله عليهم أجمعين »

ثم قرأت ما يلي : « قيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة
له فنزل على نخيل قوم فيه غلام أسود يعمل به فاذا أتى الغلام
بقوته دخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص
فأكله ، ثم رمى اليه الثاني والثالث فأكلهما ، وعبد الله ينظر
اليه . فقال يا غلام كم قوتك كل يوم ؟ قال ما رأيت . قال فلم
آثرت به هذا الكلب ؟ قال ما هي بأرض كلاب ، أنه جاء من
مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع »



وان الفكر لتسوق الفكر ، كما أن الذكريات تبعث
الذكريات ، فرحم الله ذلك الزمن الذي يروى لنا أن من أهله
من كان يؤثر حياة غيره على حياة نفسه ، فبمثل هؤلاء سادت
الشعوب . ورحم الله ذلك الزمن الذي كان يعتقد الناس فيه
بالفضائل ، ويؤمنون بأن الله يبوء جنته من ينكرون الأثرة ،
ويعملون للأيثار . بل رحم الله ذلك الزمن الذي فيه كان يرى

بعض أهله أن الجدير بأمر من الأمور أولى به أن ينزل عليه هذا الأمر، وأن الأحق بشيء أولى به أن يصيب ذلك الشيء، لأنه حقه . رحم الله ذلك الزمن الذى قدر فيه الإيثار قدره .

والآن نجد الأثرة تسمع صوتها فيخفت صوت الإيثار . يزاحم عديم الكفاءة الكفاء ليقصيه بمختلف الحيل الدنيئة عن منصبه ، وينزل بالفارس المغوار بأحط الأساليب عن مركبه . لا يقنع الغنى الميسور بيسره ، فيتمس ببناء ثروة من مال الفقير ويزيده عسراً على عسره . وأين ذلك الزمن الفائت وأين فضائله أين ؟



بمثل أساليب الغابر الفاضلة ، تعتر الدول وتسمو الأمم ، وبمثل الأثرة والأنانية الحاضرة تذلل الحكومات وتضمحل الشعوب ، ولو فشا في الناس خلق الإيثار لما تنازعوا في وزارة ، ولا تنافسوا في امارة !!

الدس والحسد

تفشى الناس خلق ممقوت ، صورته مزعجة ومنظره دميم .
يتزيا هذا الخلق أحياناً بزى زاهى اللون ، فيخفى جمال لونه أكثر
دمامته ، وينتجل لنفسه أحياناً اسماً غير اسمه المنكر ، فيلقاه الناس
بالصدر الرحيب ، كأنه العزيز الحبيب . لكنهم وأسفاً مخدوعون
عن أمره ، غافلون عن مخبره ، مغترون بمظهره .
ذلك الخلق هو خلق الدس والمكر السيئ .



تشاكل أحياناً صورة هذا الخلق صورة القدرة والمهارة ،
فيخيل للناس أن صاحبه ماهر ، لأنه أوقع غيره فى مكيدة يعسر
على هذا الغير أن يخلص من شرها المستطير ، أو يبدو للناس
أن صاحبه قادر لأنه يهيم الواضح وعقد المحلول ، وتارة يقال
لصاحبه داهية لأنه يستخدم شتى الأساليب وأنواع الحيل ليظفر
بغرضه الباطل ، وتارة يسند لصاحبه الذكاء لأنه يتخذ مختلفة
الوسائل ويعمل بشتى الأسباب للوصول الى ما يريد من السوء ،
وتارة يوصف صاحبه بالسياسة لأنه يسوس الأمور بلباقة وكياسة
ليصل الى ما تقنع به شهوته وترضى به أنانيته .

لو أنصف الناس حقاً لضعفوا بهذه العبارات على غير معانيها التي رسمت لها، وجبست عليها، ولا حرفوا تلك الصفات وجعلوها لغير حقيقة موصوفها . وقصارى القول أنه لو أنصف الناس لسموا الأشياء بأسمائها واستعملوا كلمة الدس لهؤلاء الذين يتسترون بثياب مستعارة . من الدهاء والحدق والمهارة ، ليسيئوا الى هؤلاء الذين لا يؤذون أحداً ، ولينعوا الخير ممن يستحقونه ، وليدفعوا الشر الى الذين طابت نفوسهم ، الذين لا يحذرون كيد الغادرين ، والذين يستأمنون الناس لأنهم غير ما كرين . ومما يذكر لهذه المناسبة ما قرأته فى كتاب من كتب الأدب .



« قيل إن رجلاً من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان . وكان له وزير كثير الحسد فغار من البدوى وحسده ، وقال فى نفسه لا بد من مكيدة لهذا البدوى فإنه قد أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به إلى منزله ، وصنع له طعاماً واكثر فيه من الثوم ، فلما أكل البدوى قال له احذر أن تقرب من الأمير فيشم منك رائحة الثوم ، ثم ذهب الوزير

إلى أمير المؤمنين فخلاً به وقال ان البدوى يقول عنك للناس ان
أمير المؤمنين أبخر . فلما أتى البدوى طلبه المعتصم ، فلما قرب منه
جعل كفه على فمه مخافة أن يشم الأمير منه رائحة الثوم ، فلما رآه
أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكفه قال إن الذى قاله الوزير عن
البدوى صحيح ، فكتب المعتصم كتاباً الى بعض عماله يقول فيه
إذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب عنق حامله . ثم دعا البدوى
ودفع إليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وجىء سريعاً
بالجواب ، فامثل البدوى ما رسم به المعتصم . وأخذ الكتاب
وخرج به من عنده ، فينما هو بالباب إذ لقيه الوزير فقال له
أين تريد ؟ قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان ، فقال
الوزير فى نفسه ان هذا البدوى ينال من التقليد ما لا جزيلاً .
فقال له ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك
فى سفرك ويعطيك ألفى دينار ؟ فقال له أنت الكبير وأنت
الحاكم ، ومهما رأيته من رأى أفعل . فقال هات الكتاب ،
فدفعه إليه وأعطاه الوزير ألفى دينار ، فركب الوزير وسار بالكتاب
إلى المكان الذى هو قاصده . فلما قرأ العامل الكتاب أمر
بضرب عنق حامله .

وبعد أيام تذكر الخليفة أمر البدوى وسأل عن الوزير ، فأخبر
بأن له أياماً ما ظهر ، وأن البدوى بالمدينة مقيم ، فتعجب المعتصم
من ذلك ، وأمر باحضار البدوى وسأله عن حاله فأخبره بالقصة
التي اتفقت له مع الوزير . . .

فقال المعتصم قاتل الله الحسد بدأ بصاحبه فقتله . ثم خلع
على البدوى واتخذ مكانه وزيراً .



والخلاصة أن الدس والحسد طالما أوقعا في الندامة ، وأبعدا
عن مواطن السلامة . فهل لأربابهما من عظة إذا هم قرأوا ما تقدم
ثم قرأوا « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » وهو حكم جاء به
الكتاب الأكرم ، وجرى به في شؤون الخلق القانون الأعظم ؟

نصف شعبان

فى هذا الشهر، فى ليلة الخميس الفائتة مثلت لفئة من الناس ليلة لها ميزة عندهم على ما تقدمتها من ليال وعلى ما يعقبها من ليال : تلك ليلة النصف من شهر شعبان .

لكن شعبان قد حل على كثير من الناس دون أن يتنبهوا لمقدمه ، ودون أن يحفلوا بمجيئه وقد أرخت لياليه سدولها على جهات من المدينة دون أن يظهر فى هذه الليالى أثر من آثاره . وقد بلل طل شعبان حدائق بعض القصور دون أن يشعر أهلها بأن هذا الطل والندى يغير كل طل وندى . وقد غمرت أضواء بدره كثيراً من المساكن دون أن يكون فى ضياء البدر ما ينبىء بشىء خاص عن شهر شعبان . وذلك لأن الحياة الاجتماعية وأحوالها أنست الناس شهوراً بشهور ، وبدلت التواريخ بتواريخ ، وأظهرت أياماً ومسخت أياماً . وهذا من شؤون الحياة والحياة تظهر وتختفى ، وتمسح وتثبت ، وللحياة الاجتماعية سلطان قادر، وحكم قاهر .

وينا كنت أسير فى ناحية من المدينة طبع عليها مظهر
الحياة الغريبة إذ أقبل علىّ رجل معمّم رث البزة سقيم المنظر ،
وفى يد الرجل صحف فيها دعاء نصف شعبان ، وألح علىّ أن
أبتاع من بضاعته . ولست أدرى ما الذى حمّله علىّ أن يتوجه
ببضاعته ناحيتى ، دون جماعة من المطرّبين كانوا على مقربة منى
ومنه ، لولا أن رآنى أسير بجانب شيخ صديق ينبعث من وجهه
نور الايمان ، وتبدو تقوى الله على محياه .



شريت من الرجل صحيفة من صحفه وطويتها بحبى ، ثم
مضيت فى سبيلى ومضى الرجل فى سبيله فى هذا الحى
الأوروبى ، على أنّى تذكرت عندئذ أننا الآن فى شهر شعبان
وخيل الىّ أن بائع هذه الدعوات رسول غريب من قرية بعيدة
نائية الى هذه الجهة التى كان يسعى فيها بصحفه ويعرض على
الناس بها بضاعته . بل خيل الىّ أنه رسول الغابر الى الحاضر
ليذكر أن بين الغابر والحاضر رابطة لا تنقطع وجلاً موصولاً .
بل خيل الىّ أن الرجل وما يحمل كأنه صورة من تلك الصور

التي تبعث الى النفس التأمل فتحرك فيها المستقر من الخواطر .



الناس لاهون بأعمالهم في الحى الفرنجى من المدينة عن شعبان . والقهوات غاصة في ليلته بمن هم في شغل عن دعواته . وأهل السمر يسرون في نواديهم . وأهل الخلاعة يقطعون الليل أو شطراً من الليل في ملاهيهم . ومع ذلك فالرجل الذى جاء من حى وطنى في بعض منازل يقرأ القرآن إحتفاءً بليلة شعبان ويصلى المصلون ، ويبتهل المبتهلون ، كأنه يقول لهذا الحى الأوروبى من المدينة ولمن من أهله لا يدرون ما شعبان وما ليلته : أن الناس جميعاً يتشابهون عند الشدائد ، وتدق قلوبهم على وتيرة واحدة في المحن ، مهما اختلفت سحنهم ، وتغيرت شهورهم ، وتعددت طقوسهم ، وانه عند دقات قلوبهم المتشابهة في الخوف والرجاء يهتفون لله بمعنى واحد لا يخرج عما في صحيفة دعاء نصف شعبان : اللهم أنك ظهر اللاجئين ، وأمان الخائفين ، وجار المستجيرين .

العفر الطاهر

متجملة أكثر مما هي جميلة ، متظرفة أكثر مما هي ظريفة .
دون الطويلة على أنها ليست بالقصيرة . كانت ترتدى جلباباً
من الحرير السماوى الشفاف وقد شمرت عن بعض ساقها
الدقيقتين ، إذ جوربتهما بجورب يروح لونه بين صفرة بعض
المرمر وحمرة بعض الورود . . . ارتفع كم جلبابها ليكشف عن
معصمها المبيض وكانت مشيتها بطيئة فى شىء من الثقال
والعجب والعظمة ، وليس يحول صدرها المرتفع دون تموج
الجسم وتثنى الخصر ، وحيث كانت تسير تضوع منها شذى
المسك والياسمين . أما عيناها فكانتا مكتحلتين بالسواد المصنوع
الذى تعدى بعضه باطن الجفنين ، ومآقى العينين . وتعلو بشرة
وجهها طبقة من المسحوق الأبيض الذى يمازجه آخر أحمر وعلى
رأسها قبعة عليها طاقة من الزهر المصنوع .

أما صاحبها فكان رداؤه أسود أنيقاً وقبعته من النوع الرخى
السخى . حليق اللحية ، أزالّت موسى طرفى شاربيه ، وشذب
المقص ما يبقّى منهما ، ولم يذر إلا ما هو دون فتحات الأنف .

منديله الأبيض يطل مشرباً على صدره بطرفين يشرفان الى العلو،
وفي فتحة من فتحات معطفه زهرات باسمة ، وفي يسراه عصا
كأنها تعتمد على عنايته في صيانتها أكثر مما يعتمد عليها في صيانتها.



السيد والسيدة كانا ينتظران القطار على أفريز إحدى محطات
الضواحي ويسيران ثم متبخرين مقبلين مدبرين .

وقبل وصول القطار بدقائق قليلة أقبل من خلف الأفريز
فاعل من الفعلة كأنه نبت من الأرض طفرة واحدة . وكان حافي
القدمين ، مفتول العضل يرخى لحية سوداء قصيرة مغبرة ، عليه
سروال يظهر ساقه داكنة ، وفوق قامته قيص استحال يياضه
الى لون التراب ، وعلى رأسه شبه عمامة ، وقد أرسل على كتفه
جلباً أسود يظهر فيه مزيج من الجير والرمل والحمرة . هو من
هؤلاء العمال الذين يعملون في تشييد المنازل أو حفر الجنادل .
وكأنه حين رأته كان قد فرغ من عمله لساعته لأن آثار الجهد
تبدو عليه . ويظهر أن الرجل المكدود كان مستغرقاً في فكره
أو أوصابه فلا يلفته ما أمامه ولا ما حوله .

خطا الفاعل خطوتين أو ثلاثاً أمام السيد الأنيق والسيدة

المتأنقة، ثم قبل أن يرتدى رداءه المسدل على كتفه أخذ ينفذه مما علق به من العفر . وما كاد يلوح به مرة أو اثنتين في الهواء حتى لحقه السيد الأنيق صائحا، متوعدا، مهددا، رافعا عصاه اللينة ليهوى بها على المنكبين الصليين الشديدين ، ولكن الفاعل وقد أخذه نوع من الذعر لم يفه إلا بعبارة واحدة :

هذا تراب طاهر . أنه لتراب طاهر !!

حقا لم يكن صاحبنا الفاعل اعلم أن وراءه المتأنقة المعفرة بالمسحوق الأبيض ليتقى الشر من أزعبه اليسير من عفر العمل .

وحقا لم يكن صاحبنا السيد ليتذكر وقتئذ أن أمثال القصر الأنيق الذى يسكن الى صاحبة فيه قد ترك تشييده فى ثوب العامل ما من أجله أهين وانتهر .

ألا فارخ بربك ساعديك أيها الملوح بعصاه ، المشمئز من تراب العامل . وأطرق إجلالاً فان الغبرة التى تجلل ثوب هذا المنتج الكادح وتغمر وجهه أطهر وأكرم عند الله من تلك المساحيق التى ذرتها صاحبتك على وجهها لتجعل منها عليه وجهها آخر .

التصنع والتواضع

صاحبي مفرط الشغف في أن يعد من أهل الحسب ، وله ولع بأن يسند الى أهل النسب دون أن يكون من النبلاء في أرومته ، ودون أن يتفضل الله عليه ببعض تلك الملامح التي قد يتميز بها أهل الانساب ، ليس بذى القوام السمهرى الرشيق وليس بذى الأنف الأقي أو الأشم . وليس بذى راحتين الرخصتين الصغيرتين ، وليس فى طبيعة صوته غنة ، وليس فيها صحل . ليس بذى الملامح التي تتم عن وراثة فى النعمة وسالف الطمأنينة ، لكن صاحبي مع ذلك يتأنق فى لبسته ويتعالى فى مشيته كأنه يتطلع الى أن ينطبق عليه قول ابن الاعرابى :

شبهت «مشيته» بمشية ظافر يختال بين أسنة وسيف هو يشمخ بأنفه وأنفه أدنى الى أن يكون غليظاً أفطس ، وهو يحمل يده بتقليم الاظافر وطلائها مع أن أظافره تنبت فى أصابع دق أسفلها وغلظ عاليها تتفرع من يده الرحوية الشكل . وصاحبي اذا أراد أن يتكلم يبحث عن غنة الصوت فينزل صوته الى الخنف ، ويبحث عن الصحل فينقلب صوته الى النعير . أما

إذا ذهب الى قهوة فهو لا يذهب إلا الى حيث يربط ابناء
الذوات ويتعفف عن أن يجلس فى القهوات التى يؤمها أهل
الحرف وأهل التجارة وسادتنا من أرباب المعاش وصغار الموظفين .
وإذا ذهب الى عزاء فانه لا يهدأ باله إلا اذا استطاع أن يتخطى
الصفوف ويضع نفسه حيث يتقدم مع المتقدمين . كل ذلك
وصاحي ينسى ان الناس لا يجهلون منزلته فلا يغنيه أن يتقدم
فى الصفوف ولا يغنيه أن يحط فى أكبر القهوات ، وليس يضع
معالم حقيقته تشامخ الأنف والتهادى فى المشية وتصنيع الصوت
والتجبر فى معاملته مع صغار المرتزة وتنكر ذويه ممن لا ترتفع
بهم سمعته ، ولا تروج بذكرهم بضاعته .



لأمثال صاحبي الذين يعولون على التصنع والتجمل والتظرف
فى تغيير رأى الناس فيهم أريد أن أذكرهم بقول وأن أروى لهم
قصة : فأما القول فلا بن الخطاب رضى الله عنه حين نظر الى
صفوان مبتذلاً لأصحابه فقال : هذا رجل يفر من الشرف
والشرف يتبعه . وعلى هذا فالشرف كما أنه يتبع الرفيع ، فهو يفر
عن الوضع مهما تشارف وترافع

وأما القصة فيروى أن عمر بن عبد العزيز أثناه ليلة ضيف
وكان يكتب فكاد السراج يطفأ . فقال الضيف أأقوم الى
المصباح فأصلحه . فقال عمر ليس من كرم الرجل أن يستخدم
ضيفه . قال الضيف : أفأنبه الغلام ؟ فقال عمر هي أول نومة
نامها ، ثم قام عمر وأخذ البطة وملاً المصباح زيتاً . فقال الضيف
أقمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين . فقال عمر : ذهبت وأنا
عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شيء وخير الناس من كان
عند الله متواضعاً .

الفاخرة في ٢٧ من مارس سنة ١٩٢٧

أيام العيد

أيام الأعياد هي دورات للفلك كغيرها من دورات الفلك .
لا يتغير فيها نظام السماء في شيء ، ولا تتغير حركة الأرض قيد شعرة
عن مجراها . الكواكب تسير في الأفق الأعلى وفق قانونها كما
شاء الله أن تسير ، والأرض كما كان الأمر منذ الأبد ما برحت
تستقبل الجديدين فتعبس تارة لوجه الليل ، وتبسم أخرى لوجه
النهار . وما زالت الشمس كما يتصورها الناس تبرز من خلف
ستارة الأفق من فجر كل يوم ثم تسبح لتتوسط السماء ، ثم تتحدر
رويداً رويداً حتى تغوص وتغيب ، ثم تعود فتطفو مرة أخرى
لترى الناس وجهها كأنه أصفر رهبة من عمق الفضاء وملكوت
الله لا يذرع ولا يحد .



لكن إذا كان عالم الأفلاك لم يتخلف عن نواميسه في أيام العيد
فهناك عالم آخر ظهر فيه التغير واضحا جليا . ذلك هو عالم النفوس .
توافق الناس في أيام العيد أن تهتز نفوسهم هزات شديدة
اصطلحوا على تسميتها بالسرور أو الفرح . ومن شأن تلك الهزات

أن تحدث في أمور الناس غير ما ألفت الناس في كل يوم . تحدث في المدن والقرى حركة أشد ، وتحدث في لباس الكثيرين أناقة وكياسة ، وتحدث في وجوههم زهاء وبشرا ، وتجري على ألسنتهم دعوات وشكرا .



في مسافة من الطريق لا تزيد عن الميلىن شهدت أكثر مظاهر العيد . رأيت بعض الأصدقاء يقبلون على بيت صديق لهم . وجميعهم يحملون على ألسنتهم دعوة لأعزب الدار ان يهبي له الله ما تصبو اليه نفسه من عروس صالحة ، ولتأميد الدار أن يعينه الله على أداة الامتحان ونيل الشهادة ، ولشيخ الدار أن يتقبل الله منه تقواه ويمتعه بزيارة حبيبه الرسول . ولعريس الدار أن يرزقه الله بخير الخلف .

الناس جميعا يعامون أمر الدعوات في كل يوم من أيام العام لكنهم قد توافقوا أن يرسلوها في العيد حارة صادقة كأن الله قد خصص ذلك اليوم لدعوات عباده ليتقبل منها ما يتقبل ، وكأن الناس ينتظرون في هذا اليوم أكثر منه في كل يوم رحمة الله عليهم ورأفته بهم .

ثم رأيت بعد ذلك عربة فيها صبية يصيحون ويصخبون ،
ويضجون ، وكل دلائل السرور بادية عليهم . أوردتهم بالدماء
مترعة ، وأنفاسهم مسرعة ، وحركاتهم كثيرة ومنوعة وضحكاتهم
غزيرة ، ووجوههم مشرقة مستديرة ، وكل ذلك من آثار الفرح
والناس تعلم حقاً في كل يوم من أيام العام ، ما السرور والفرح ،
لكنهم توافقوا في أيام العيد على أن يستعينوا بظاهر الفرح على
خلق الفرح .

ثم رأيت بعد ذلك عائلة تتكون من أب يسير آخذا بيد
طفله يجرى وراءه ، ووراءهما أم يتقدمها ابتان لا بستان جلبايهما
الحمراوين الجديدين ، وفي أيديهما بعض ما يبيع المرتقة من حلوى
ولعب . وما كان أشد هذا المنظر وقعاً في نفسى إذ بدت لى عين
الأم الرؤوم لا ترى فى هذه الطرقات الهائجة المائجة إلا غبطة
أبنائها فى ثيابهم الجديدة فرحين مستبشرين . آه لو علم الذين
يخلعون كل يوم ثيابهم الغالية ليستبدلوها بغيرها من الثياب
الجديدة الغالية قيمة الثوب الجديد عند من يحددونه لأبنائهم
مرة فى كل عام !!

ثم رأيت كذلك عربة يركبها شباب من المستهترين يرقصون ،

ويطربون ، ويشربون ، ويتمايلون ويترنحون ، وفي القول
يبتدلون ، والناس حقاً يعلمون في كل يوم من أيام العام رذيلة
الاستهتار لكنهم توافقوا اكراماً للعيد أن يتسامحوا في بعض
مظاهر الاستهتار .



أيام العيد إذن تتجلى في عالم النفس في نزعات مشتركة وتوافق
بين الناس على أن يتهلوا ويفرحوا ويوسعوا على أنفسهم
ويتسامحوا .

والناس يهيئون أعيادهم لأنفسهم بأنفسهم دون أن تتغير
الأرض والسماء بما يعملون ، ففي الكون تظل مواطن اللذة ،
وفيه تظل مواطن الألم . وإنك حيث ترى في يوم العيد الموسر
يتبختر في جديد كسائه مطمئناً في فرحه وغبطته ، قد ترى المعسر
الكادح في ثيابه البالية لا يفكر إلا في عسره وشقوته !!

وإنك في النهج الذي يجتمع فيه المجتمعون ويعيد فيه المعيدون
قد تجد مكاناً يفترق فيه المفترقون ، ويشيع فيه المشيعون !!
إن أشد الناس استفادة من الحياة من استطاع أن يجعل
جلبة آمالها وأفراحها ، تستر ضجيج آلامها وأتراحها .

الاعراق في المجاملة

من الناس من تفيض الطبيعة على نفوسهم ، وتلامس فعالهم
مظاهر الظرف والحياء فيكرمون من ليس بكرمهم جدير ،
ويتلطفون مع من ليس بلطفهم أهلاً ، فاذا كان من قواعد
الظرف والكرم أن يتلطف المرء بمن لم يجعل نفسه موضعاً للكرامة
والإحسان ، فمن العدل ان نكافى أهل الخير بوفرة الاقبال عليهم
وأهل الشر بمظاهر الانصراف عنهم .

قال المتوكل لأبي العيناء الى كم تمدح الناس وتذمهم فقال :
ما أحسنوا وأساؤا .

ولقد يكون في الاقبال على من لا يستحق الاقبال والمجاملة
تفريط في حق الجماعة وفي حق من يجامل . أما في حق الجماعة
فان وضع الدنيء الوضع ، في حسن المعاملة ، مكان الرفيع فمن
شأنه أن يعمل في تقديم الأشرار وتأخير الأخيار . ومن حق
الأم أن يتقدم أخيارها ، ويتوارى أشرارها .

وأما في حق الشخص الذي يجامل فذلك لأن صاحب
العيب اذا لم يشعر بعيبه ربما زادت نفسه مع الزمن سوءاً . وإذا

لم يذكر الكريم بمحامده ربما ضعفت في نفسه محامده .
قال خالد بن سالم دخلت على أسامة بن زيد فأثنى علىّ ثناءً
حسنًا ، ثم قال لي انما حملني على أن امتدحك في وجهك اني
سمعت النبي يقول إذا مدح الانسان في وجهه ربا الايمان في
قلبه ولقد قيل في الحديث : اذكروا الفاسق بما فيه . ولم يكن
ذلك من الاغتياب .



ولربما كان من أجل ما اعتمد عليه الدين المحمدي في إصلاح
الجماعة انه جاء بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى كان
في الاسلام بذلك نظام الحسبة واشترط بعضهم في المحتسب الذي
يحق له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون مأذوناً
في ذلك من الحاكم ورأى بعض العلماء فساد هذا الشرط فاثبتوا
أحاد الرعية من عقلائها حق الحسبة من تعنيف الغير في سبيل
المصلحة ، ومن كسر الملاحى ومن اراقة الخمر وما إلى ذلك مما
كان السلف الصالح يستييحون عمله للخير والمصلحة .



روى عن حيان بن عبد الله قال : تنزه هرون الرشيد بالدوين

ومعه سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون : قد كانت لك جارية
تغنى فتحسن فجئنا بها . قال فجاءت الجارية فغنت ، ولكن
الخليفة لم يحمد غناءها . فقال الخليفة ما شأنك يا جارية ؟ فقالت
الجارية ، ليس هذا عودى فقال هرون للخادم جئنا بعودها .
قال فجاء الخادم بالعود ولكنه وجد فى طريقه شيخاً يلقط النوى
فصاح الخادم به ليفسح له الطريق ، فرفع الشيخ رأسه فرأى
العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فكسره . حينئذ
أخذ خادم الخليفة الشيخ الى صاحب الشرطة وطلب اليه أن
يحتفظ به لأنه طلبة أمير المؤمنين . ثم ذهب الى مولاه الخليفة
وقص عليه الخبر فاستشاط الخليفة وغضب واحمرت عيناه فقال
له سليمان ابن أبي جعفر خفف عنك الغضب يا أمير المؤمنين
وابعث الى صاحب الشرطة بضرب عنق الشيخ فقال الامير
لا ، ولكن نبعث اليه ونناظره فلما أحضر الشيخ أمام الخليفة
قال له : يا شيخ ، ما الذى حملك على ما صنعت ؟ فقال الشيخ :
انى سمعت أباك وأجدادك يقرأون هذه الآية على المنبر : ان
الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى وأنا رأيت منكراً فغيرته فلم يكن من

الخليفة الكريم بعد ذلك إلا أن أمر له بجائزة.



إذا لم نستطع وفقاً لآداب عصرنا وعرفنا أن نكون في شجاعة
الشيخ المحتسب لنجهر للعائب بعيه فلا أقل من ألا نسوى في
مظاهر المجاملة بين الأخيار وبين الأشرار.

القاهرة في ١٧ من إبريل سنة ١٩٢٧

القانون الخلقى وجلاله

كثيراً ما يقطع الغافلون من الناس أطوال الأرض وأعراضها
ويسلكون مسالكها، ويذرعون سبلها، وتمر أمام أعينهم مختلف
المشاهد وأجناس الناس — وكـم في نفوس الناس من فصول نقرأ
منها رواية الحياة العظيمة — لكن دون أن يتنبهوا لأمر دقيق
من دقائق هذه الحياة. ودون أن يصيبوا موعظة مما يشاهدون.
وكثيراً ما تتجلى للناظر المتبصر صور من الحياة ظاهرة جليلة
في مجلس ضيق محدود يغشونه، أو من حيث تسترق أسماعهم
قولاً لطيفاً أو حديثاً طريفاً، وقد ينزع اليقظون مما يحيط بهم
زبدة من زبد الحياة أو عبرة من عبرها تخلص لهم كما يخلص المعنى
الجامع من القول الطويل عند السامع اليقظ.

واليك صورة تجلت لى وظهر لى معها جلال القانون الخلقى :
في عربة من عربات الترام الذي أكاد أركبه كل يوم
لأذهب الى عملى ، اجتمعت فئة من الراكبين : فيهم أم مصرية
وبجانبها طفلها الصغير ، وفيهم بعض رجال من أعمار مختلفة ،
وفيهم سيدة خليعة ، وفيهم عامل الترامواى .

أما الأم فكانت مثلاً في الاحتشام توجه الى صبيها نظرات

الحنون ، وكانت تارة تصلح له من ملبسه وتارة أخرى تحدثه في وداعة ورحمة . بالاختصار كانت كأنها ترى فيه أملها المرتجى ، وسعادتها النابتة ، ونعمتها السابغة . فلا تكاد نفسها وحركاتها تتوجه إلا إليه وإلى ما يهيمه .

وأما الرجال الجالسون فكان بعضهم مكباً على المطالعة في الصحف ، وبعضهم يتحدثون فيما بينهم في شؤون لهم ، والبعض يرمى شيئاً في نفسه من فكرة عارضة تشغل الرأس أو أمر ذي بال . أما الخليعة المكحلة فكانت تتلوى في حركات مصنوعة لتلفت النظر إلى نفسها وكانت تارة تشر الأزارع عن بعض ساقها ، وتارة أخرى تكشف الثوب عن بعض ذراعيها ، ومرة تبدى زيتتها ، ومرة أخرى تحاول أن تتحدث مع العامل . أو مع من حولها من غير حاجة ماسة لمثل هذا الحديث .

أما عامل الترام فكان في ثوب عمله الأصفر مأخوذاً في واجبه ذاهلاً بذلك عما عداه .



سار بنا الترام شوطاً ثم أخذت الخليعة تستوقفه بصوت وعبارات وإشارات كان من شأنها أن تلفت نظر الجالسين ولكن

بامتهان واحتقار. فلما شرعت فى النزول التفت البعض الى البعض ثم التفتو اليها التفاتاً يدل على امتعاضهم من تلك الصورة المخجلة . ثم قطع الترامواى بعد ذلك شوطين وقامت السيدة المحترمة أم الصبي لتأهب للنزول فأخذ الجالسون فى عونها وعون ولدها فى صورة من التقدير والاجلال لاحتشامها .



فى الصورة التى مثلتها السيدة الخليعة ، والصورة التى مثلتها السيدة الجليلة ، وفى موقف الناس حيال الصورتين ظهر لى القانون الخلقى فى هيئته الصامته حين يعاقب من يستحقون العقاب بما تحفظه صدور الناس للناس من احتقار حقيق بأهل الاحتقار وحين يثيب من يستحقون المثوبة بما تكنه صدور الناس للناس من احترام حقيق بمن يستحقون الاحترام من أهل الكرامة . وان عقاب القانون الخلقى عند من يشعرون بعقابه لمؤلم حديد ، وان ثوابه عند من يعرفون ثوابه لقوى شديد .

أنت أنت الله

إذا ما اتجه الفكر في السموات حيث انتشرت النجوم في الليل ، وإذا ما كل البصر فيما لا نهاية له من الآفاق المظلمة ، وإذا ما خشعت النفس خشعتها من رهبة السكون الشامل ، فانك تشرف بوجهك الكريم من خلال هذه الآفاق ، وتسمع صوتك في ذلك السكون ، وتمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة . حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمه مشرقة ويتحول السكون الى زبرات مطربة تنبعث من كل صوت ، وحينئذ تغنى النفس الخاشعة لتقول أنت أنت الله .



وإذا ما كان المتأمل على شاطئ البحر الخضم وأرسل الطرف بعيداً بعيداً حيث تختلط زرقة السماء بزرقة الماء، وحيث تتحدر شمس الأصيل رويداً رويداً كأنها الأبريز المسحور لتغيب في هذا المتسع الملح الاجاج ، وحيث تنهادى الفلك ذات الشراع الأبيض في حدود الأفق الملون بالوان الشفق كأنها طائر يسبح في النعيم : إذ ذاك يشعر المتأمل بعظمة واسعة دونها عظمة البحر الواسع ، وإذا ذاك تقر العين باطمئنان الفلك الجارى على أديم الماء الممهد ،

وفى رعاية الله الصمد حيث تكون مظهر العظمة وحيث تطمئن
النفس لرؤية ما تطمئن اليه فى منظر جميل ، إذ ذاك يدق الفؤاد
بدقات صداها فى النفس : أنت أنت الله .



واذا ما انطلقت السفينة بعيداً بعيداً فى البحر اللجى وهبت
الزواجع ، وتسابقت الرياح ، وتلبد بالسحب الفضاء ، واكفر
وجه السماء ، وأبرق البرق ، وأرعد الرعد ، وكانت ظلمات بعضها
فوق بعض ، ولعبت بالسفينة الأمواج وأجهد البحار جهده ،
وأفرغ الربان حيلته . وأشرقت السفينة على الغرق . وتربص الموت
من كل صوب وحدق . إذ ذاك يشق ضياؤك هذه الظلمات
والمسالك ، وتحوط رأفتك حول هذه الأخطار والمهالك ، وتصل
بجبال نجدتك المكرويين البائسين . واذا ذاك يردد القلب
واللسان : أنت أنت الله .



واذا ما اشتد السقم بمن أحاطته عناية الأطباء ، وسهر الأوفياء ،
ونام بين آمال المخلصين ودعوات المحبين ، ثم ضعفت حيلة الطبيب
ولم ينفع وفاء الحبيب ، واستحال الرجاء الى بلاء ، إذ ذاك تظهر

جالساً على عرش عظمتك والنواصي خاشعة والنفوس جازعة
والأيدي راجفة والقلوب واجفة لتقول : أنا قضيت ، ويقول
الطيب والقريب والحبيب : لك الأمر أنت أنت الله .



واذا ما باين الدنيا إنسان وباينته إذ ينظر الى المال فيلقاه
فانيا . والى الجاه فيلقاه فانياً والى الأمانى فيلقاها زائلة ، والى
الآمال فيجدها باطلة . والى الشهوات فيلقاها خادعة كاذبة ، والى
المسرات فيجدها آفة غاربة ، اذ ذاك يستغنى عن الجاه والمال ،
ويشغل في نفسه حركة الآمال . وبين جاه يدول وأمل يزول
لا يملأ فراغ النفس الا ذكرك أنت أنت الله .



واذا ما وقعت العين على زهرة تتفتق في الأحكام ، أو تلاقت
العين بعين يملأها الحسن والابتسام ، واذا ما أعجب المعجبون
بجمال الفجر المتنفس وتغريد الطير المتربص وعاود الصدر انشراحه
وملأ القلب ارتياحه : اذ ذاك يشرق جبينك النوراني الجميل
فتراك أنت أنت الله



فبينما يمس النفس من مظاهر العظمة ومظاهر الوسعة
ومظاهر الرحمة ومظاهر القدرة والقضاء ، ومظاهر الدوام والبقاء
ومظاهر الجمال ، والجلال ، اعتاد الناس أن يصفوك بالعظيم ،
والواسع ، والرحيم ، والقادر ، والدايم ، والجميل ، والجليل ،
وأوتار القلوب تردد أنت أنت أنت أنت أنت أنت الله

الاسكندرية في ١٨ من سبتمبر سنة ١٩٢٧

عام ١٩٣٠

اليوم ! . . . تنفصل عن العمر لبنة من لبنات الأعمار ،
ويتمدد إلى النفس مجرى من مجارى الحياة والأقدار ، فشىء يبيد
وشىء يزيد

ولماذا أخطبك أيها العام ، وبماذا أتحدث إليك ، ولقد كان
لى مع سابقك قول وخطاب . ولقد كان لى فى مثل هذا اليوم
مع نفسى ، وبينى وبين مستهلات بعض السنين تذاكر وحساب .
وهانذا أنتظر القول فلا يدنو إلى . وأهم بالحديث فيلتوى على ،
واليوم هو أحق الأيام لتحصى النفوس على وضوح الحقيقة ما
كسبت وما اكتسبت ، وما كان لها وما عليها . وما فرطت فيه
وما تطمح إليه . وان هذه الليلة لهى أولى الليالى التى يحسن فيها
بالمرء أن ينفرد وقتاً ما بنفسه تحت جناح الهدآت والسكون ،
ليستعرض شخصيته الدانية ويستبين آثار ما تدرج إليها من نتائج
التجارب ، وما اندس فيها من معاملة الناس ، حتى إذا دنت منه
شخصيته الصحيحة وبرزت إليه ، على ما هى عليه ، أخذ حينئذ
فى أن يوجه إليها نظرات نفسه الخفية ، ونقدات بصيرته الفطرية
النقية ، ليحاول تطهيرها من الذنب والدنس ، وتخليصها مما لحق

بها من سوء، وإبرائها مما أصابها من ضعف ووهن... ثم يعمل على تزويدها بالنصح، وتقويتها بالصبر والاحتمال، وانعاشها بالآيمان والأمل. بذلك كله تعد النفوس لترقى مما هي عليه الى ما ينبغي أن تصير اليه وهي شاخصة الى ما يتألق أمامها من مثل الخير النيرة. وبذلك كله نستطيع أن نقول لنفوسنا استقبلي العام الوليد، وسيري على بركة الله في المجرى الجديد.

لكن... لكن مهما يكن الأمر من تجهيز النفس واعدادها فهل سنلقى في عامنا اللاحق، غير ما لقينا في عامنا السابق؟؟
أحسبني لا أخطئ إذا قلت كلا. وأخالي لا أتجاوز الصواب إذ أرى الحياة تتشابه في مجاميع ما تسوق، وفي كليات ما ترسل، وفي مجردات ما تنتهي اليه من الأمور.
ماذا؟؟؟ نواح مستنيرة بيضاء، وأخرى مظلمة سوداء، وأخرى تتمزج فيها الظلمة بالضياء.

ثم ماذا؟؟؟ ألسنا نجد في بعض هذه النواحي اليسر والفرح والرخاء، وفي بعض آخر نجد العسر والكآبة والشقاء، وفي آخر يكون العدل والجود والتفريط والافراط والكد والرخاء؟
ثم ماذا؟ ألسنا نجد في ناحية من النواحي الفوز، والسبق،

والانتهاز والغلبة، وفي أخرى الانكسار والاندحار، وفي أخرى ما هو معروف من اليقين أو الارتياب، أو ما هو مألوف من السكون أو الاضطراب، أو ما هو معلوم من خسة، ودناءة، وخديعة ومكر؛ وغفلة وحذر؛ وإساءة وإحسان، ونكران وعرفان، وغير ذلك مما تنطوى أشباحه في صور الخير والشر. وقد يصيب الناس رشاش من بعض هذا أو من كل هذا في عامهم الجديد كما أصيبوا به في عامهم المنصرم. وقد تتصل الحياة بكل هذه النواحي أو ببعض هذه النواحي فيصيبها شيء من ظلماتها أو أضوائها!! وكذلك الحال في حياة الأمم والجماعات كما هو في حياة الأفراد فقد تتحقق لها آمال، وقد تجد يسراً، وقد تصادف عسراً.

مهما يكن الأمر فيما وجدنا وفيما سنجد خير موقف نقفه عند استقبال عام ووداع آخر يجود بالنفس الأخير، أن نرفع وجوهنا الى السماء، عند دقة الساعة، وفي مفترق العامين، ونقول عند ما تمثل صور الألم والمتألمين، رضاء وصبراً... وعند ما تمثل الاساءة تقع من أنفسنا ومن غيرنا نرجو من الله ومن الناس مغفرة وعذراً... وعند ما تمثل أمتنا في

نهوضها وشبابنا في آماله نسأل الله توفيقاً وخيراً . . . وعند ما
نتمثل شؤوننا وشؤون الناس نرسل اليك اللهم حمداً وشكراً ، .
ويطيب للنفس أن تتغنى بالثناء ، وللسان أن يردد : حمداً لله
وشكراً . . . حمداً لله وشكراً . . .

الفاخرة في الأول من يناير سنة ١٩٣٠

فهرس

صفحة		صفحة
٥١	فى شم النسيم	١ ضمير قلق
٥٤	عيد آمنة	٥ مآتمنا
٥٨	قرايين الانتخاب	٧ نظرة فى الطريق
٦١	الوطن	١٠ رغيى الشفاء
٦٤	« الاكروبوليس »	١٤ الشباب المدبر
٧٠	وقفة بالحصن المقدس	١٦ الدعوات
٧٣	الله أ كبر	١٩ الكأس المرة
٧٩	لقاء الوطن	٢٢ على مسرح الادارة
٨٢	لعام ١٩٣٤	٢٦ واسع الرحمة
٨٦	السماء	٢٨ ساعة عبادة
٨٨	الموت الساخر	٣٠ شكوى الى الله
٩١	عائلة	٣٢ يعين « رولان »
٩٥	ضيق وضجر	٣٦ القهوة والبيت
٩٨	لذكرى الأديب	٣٩ فى ذكرى عام
١٠٢	فى الغابة	٤٤ فى نعيم الفن
١٠٦	دار ودار	٤٧ العيش الحقيىر والعيش الكبير

صفحة	صفحة
١٦٤ أيام العيد الفائتة	١١٠ حياة حول موت
١٦٧ التسامح	١١٣ طيف زائر
١٧٢ للعام الهجري الجديد	١١٦ حول ما لله
١٧٦ لهجة ابن الحاقان	١١٩ رحاب العلم ورحاب الدين
١٧٩ الرضا	١٢٢ الغيبة والبهتان
١٨٣ عام ١٩٢٧	١٢٥ حقوق الأفراد
١٨٦ الايناز	١٢٨ الجُود
١٨٩ الدس والحسد	١٣١ الى الفتيات المبعوثات
١٩٣ نصف شعبان	١٣٥ حول الديموقراطية
١٩٦ العفر الطاهر	١٣٨ فكر سجين
١٩٩ التصنع والتواضع	١٤٣ صورة من صور النفاق
٢٠٢ أيام العيد	١٤٦ صورة من صور التقلب
٢٠٦ الاغراق في المجاملة	١٥٠ سعادة الباشا
١١٠ القانون الخلقى وجلاله	١٥٤ لعام ١٩٢٦
٢١٣ أنت أنت الله	١٥٧ عند اطلال طيبة
٢١٧ عام ١٩٣٠	١٦٠ الكرنك

